الرهبانية في المسيحية
عرض ونقد

الأستاذ الدكتور/ سامي بن علي القليطي
الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة طيبة بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه المبين: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(١)، والقائل: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢)، والقائل: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(٣)، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين، من تصفه زوجه الصديقة عائشة رضي الله عنها بقولها:" مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنْ الْآخَرِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ "(٤)، والقائل عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم:" إنَّ الدِّين يسر، ولن يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا "(٥)، والقائل:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ "(٦)، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، وعلى من سار على نهجه، واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنَّ شرائع الله فيها الرحمة والهدى، فيها اليسر والتسهيل، تخاطب الناس كافة، موافقة للفطر السَّوية، تحتملها طبائع البشر، متوازنة في مخاطبة الروح والجسد، بعيدة عن العنت والمشقة والحرج، وهي منهج حياة متكامل، جاء بها الأنبياء المؤتمنين على تبليغ الشرع

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله (٢٤٩١/٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله (١٨١٣/٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدّين يسر (١ / ٢٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه (٥ / ٢٢٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (١ / ٥٤٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والدين، من قبل رب العالمين، بواسطة الوحي الأمين، وتفانوا وجاهدوا في تبليغها حتى أتاهم اليقين.

ولما كانت شرائع الله كذلك، حذَّر سبحانه وتعالى من الإفراط والتفريط، واتباع غير شرعه ونهجه، فهو من أبدع وخلق، وهو اللطيف الخبير، العليم الحكيم، العالم بما يصلح لخلقه، وما لا يصلح لهم، حيث قال سبحانه وتعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[1]، وقال سبحانه:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

ولما كانت الرهبانية المسيحية من الشرائع التي لم يشرعها الله تبارك وتعالى، كما قال تعالى في كتابه المبين: ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[3]، ولما لها من أثر كبير في المسيحية، وأتباعها، فهي عندهم نظام حياة مقدَّس قائم، له قوانينه ومبادئه وطقوسه وشعائره، كما أن عليه الكثير من المؤاخذات والملحوظات، وله الكثير من الآثار في المجتمعات؛ أحببت أنْ تكون هذه الدراسة؛ التي سأجيب فيها –بإذن الله تعالى– عن تساؤلات عدة؛ أهمها: ما مفهوم الرهبانية في اللغة والاصطلاح؟ وما الإطلاقات والتسميات التي تطلق على الرهبان، وأماكن ترهبهم؟ وما درجات الرهبان؟ وكيف نشأة الرهبانية في الديانة المسيحية؟ وما مراحل نشوئها وتطورها؟ وما أنماطها؟ وما الأسباب والعوامل التي أدت لظهورها؟ وما أهم أسسها ومبادئها؟ وأخيراً ما آثارها على الديانة المسيحية ومجتمعاتها ونتائج ذلك.

وستكون دراستي هذه –بإذن الله تعالى– دراسة وفق المنهج العلمي؛ القائم على الموضوعية في الطرح، والعرض والوصف والتحليل والنقد والمناقشة، في ضوء النقل الصحيح، والعقل الصريح، مستمد مادتها العلمية من: القرآن الكريم؛كتاب الله تبارك وتعالى، المعصوم من التحريف والتبديل، وسنة نبيه الكريم ﷺ وكتب علماء المسلمين، ومما في أيدي النصارى من كتب مقدسة عندهم، وعلى رأس ذلك الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وبما

---

(١) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٧.

(٣) سورة الحديد، الآية ٢٧.

يشمله الجديد من الأناجيل الأربعة، ورسائل بولس، وأسفار أخرى مقدسة عندهم، وكــذا بمــا كتبه قساوسة وعلماء النصارى وباحثيهم.

وقد عنونت لدراستي هذه بـــ" الرهبانية في المسيحية (عرض ونقد) "، وقد جعلتها في ستة مباحث، تسبقها مقدمة، اشتملت على توطئة للموضوع وأسباب اختيـــاره والمــنهج الــذي سيسار عليه في الدراسة، ويقفو المباحث الستة خاتمة ضمنتها أهم نتائج البحــث وتوصــياته، وقائمة بالمراجع، وفهرس للموضوعات، وذلك كالتالي:

المقدمة.

المبحث الأول: مفهوم الرهبانية.

المبحث الثاني: نشأة الرهبانية في المسيحية.

المبحث الثالث: مراحل تطور الرهبانية في المسيحية وأنماطها.

المبحث الرابع: أسباب وعوامل ظهور الرهبانية في المسيحية.

المبحث الخامس: مبادئ وأسس الرهبانية في المسيحية.

المبحث السادس: آثار الرهبانية في المسيحية ومجتمعاتها.

الخاتــمة.

قائمة المراجع.

المبحث الأول: مفهوم الرهبانية

المسألة الأولى: مفهوم الرهبانية في اللغة:

إنَّ مصطلح الرهبانية مأخوذ في اللغة من الرَّهْب وهو: الخوف، ومن التَّرَهُّبُ وهو: التَّعَبُّدُ، ويقال: التَّعَبُّدُ في الصَوْمَعَة. يقال: رَهِبَ بالكسر يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً بالضم ورَهَباً بالتحريك أي خافَ ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً خافَه.

والرَّهْبانيةُ مصدر الرَّاهب، وجاء ذكرها مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[(١)]، وهي اسم لما فَضَل عن المقدار وأَفْرَطَ فيه، والرَّاهِبُ المُتَعَبِّدُ في الصَّوْمَعَةِ المنعزل عن الآخرين، وأَحدُ رُهْبانِ النصارى، ومصدره الرَّهْبةُ والرَّهْبانِيّةُ، والجمع الرُّهْبانُ، ويطلق لفظ الرُّهْبان على الواحد والجمع، ويجوز جمعه على رَهابين ورَهابِنة ورَهْبانيين، ويقال في حق النساء راهبة، وتجمع راهبات ورواهب[(٢)].

المسألة الثانية: مفهوم الرهبانية في الاصطلاح:

إنَّ الرهبانية عند النصارى هي نظام وأسلوب حياة يتقربون به إلى الرب، يشتمل على عبادات وطقوس وشعائر، وهي تعني الابتعاد عن ضجيج الحياة، والانقطاع للعبادة في الكهوف والأديرة، والحرمان من لذيذ العيش، والتخلي من أشغال الدنيا، والزهد فيها، وتعمُّد مشاقِّها؛ كتعذيب الجسم بالجوع والعطش، ولبس خشن الثياب، والتبتل وعدم الزواج، وخصي النفس أحياناً[(٣)].

قال الراغب الأصفاني رحمه الله: "الرهبانية: غلوُّ مَنْ تحمَّل التعبُّد من فرط الرَّهْبَة"[(٤)].

وقال الرازي رحمه الله:" المراد من الرهبانية: ترهبهم في الجبال، فارين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة، ومتحملين كلفاً زائدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم؛ من الخلوة واللباس الخشن، والاعتزال عن النساء، والتعبد في الغيران والكهوف "[(٥)].

وقال ابن جزي رحمه الله:" الرهبانية: هي الانفراد في الجبال، والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء، وترك الدنيا "[(٦)].

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢٧.

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١٠ / ١١٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (١٠ / ٢٥٦-٢٥٧)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢ / ٢٨٠)، ولسان العرب لابن منظور (١ / ٤٣٦-٤٣٧)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (١ / ٧٦-٧٧)، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم لسميح الزين (ص ٤٣٥).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/٢٨٠-٢٨١)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٤)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ٢٩٩)، والموسوعة الميسرة في الأديان (١ / ٢٧٩).

(٤) المفردات في غريب القرآن (١ / ٣٦٧).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٩ / ٢١٤).

(٦) تفسير ابن جزي (ص ٧٤٧).

وقال القاسمي رحمه الله:" الرهبانية: هي المبالغة في العبادة، والرياضة، والانقطاع عن الناس، وإيثار العزلة والتبتل "[١].

وقال الدكتور محمد شامة:" الرهبانية: حياة دينية منعزلة عن المجتمع، سماتها: التقشف، والاستغراق فى العبادة، وصورتها: حياة الفرد وحده منعزلاً عن الناس، أو فى جماعة عزلت نفسها عن المجتمع فى الصحراء، أو فى بناء خاص يطلق عليه: الدير "[٢].

وقال الدكتور أحمد شلبي:" الرهبنة هي: الزهد في متع الحياة الدنيا، والبعد عن نعيمها، واعتزال حياة المادة، وقطع الصلة بين المترهب وبين مشاغل الحياة وعوائق الصفا، وكل هذا للرغبة في تطهير النفس والسمو بها إلى الدرجات العالية "[٣].

وجاء في الموسوعة العربية العالمية:" الرهبانية: شكل من أشكال الحياة الدينية، عند غير المسلمين، تعزل فيها جماعة نفسها عن الحياة العامة سعياً إلى تطبيق تعاليم دينها تطبيقاً تاماً. ويسمى من يتبع هذا النمط من الحياة راهباً ... وهم يعيشون في أماكن تعرف بالأديرة. وتؤدي الرهبانية دوراً مهماً في معظم الأديان. وقد أُطلق على أوائل رهبان النصارى المعتزلين؛ لأنهم كانوا يعيشون حياة عزلة، ثم تجمعت جماعات منهم، وكونوا جمعيات تتبع حياة العبادة والتأمل. وينهج الرهبان المعاصرون هذا المنهج نفسه "[٤].

ولو نظرنا لتعريفات علماء النصارى للرهبانية لوجدناها مشابهة لحد كبير لما ذكرته عن علماء الإسلام عنها.

يقول الباحث النصراني الدكتور حكيم أمين في تعريفها:" الرهبانية طريقة المعيشة المنعزلة، في خلوة فردية تامة بقصد العبادة "[٥].

ويضيف الدكتور حكيم أمين على تعريفه السابق إضافة أخرى؛ حيث يقول:" هذه الكلمة (رهبانية) أصبحت تستعمل كذلك على الحياة الديرية القائمة على أسس اجتماعية "[٦].

وقال الأنبا كاراس السائح:" الرهبنة: هي الانحلال من الكل للارتباط بالواحد (الله) وهي درجة الملائكة لا يفترون ليلاً ونهاراً عن خدمة ملكهم "[٧].

وقال البابا شنودة الثالث عنها: " هي الانحلال عن الكل للارتباط بالواحد "[٨].

---

(١) محاسن التأويل (٩ / ٤٥-٤٦).

(٢) موسوعة المفاهيم الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المصرية، مصطلح الرهبانية.

(٣) المسيحية (ص ٢٧٢-٢٧٣).

(٤) الموسوعة العربية العالمية، مصطلح الرهبانية.

(٥) دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية (ص ٣).

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر: موقع الأنبا كاراس السائح: http://www.avakaras.org/showthread.php?t=٥٧٣١

(٨) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص ٧).

وقال بطرس البستاني:" هي الاعتزال عن الدنيا وأمورها العادية بسبب انشغال النفس بالأمور الدينية "(١).

وقال الأنبا غريغوريوس:" نظام تعبدي خاص لمجموعة من الناس ارتضت لنفسها أن تعيش في عزلة عن ضوضاء الحياة العامة وصخبها، كلفاً بالهدوء الذي يتيح لها التأمل، وفحص الضمير، ومحاسبة النفس، والصلاة العميقة الطويلة، والتعبد بغير شاغل أو عائق "(٢).

وقال أيضاً:" الرهبنة طريق طويل يبدأ بالرغبة الملحة في طريق الكمال، ويهدف في نهايته إلى الاتحاد بالله "(٣).

ويذكر الأنبا مارتيروس أنَّ الرهبانية عبارة عن: اندفاع المسيحيين إلى البرية لمغالبة الشر، والخلوة بالله، وأنَّ الرَّاهب بذلك يكون قد وهب كامل نفسه لله، ثم يردف قائلاً في وصف الرهبان:"اقتحم النّساك الطرق الوعرة إلى البراري، وانكشفت الكهوف والمغائر وشقوق الجبال، وهجروا طوعاً المدن والقرى، وودعوا الأهل والأقارب، وضحوا بالمال والثروات، ورفضوا المناصب غير آسفين، واختاروا لأنفسهم حياة الفقر والغربة "(٤).

وجاء في رسالة بولس إلى العبرانيين عن مفهوم الرهبانية ووصف الرهبان:" طافوا في جلود غنم وجلود معز، معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض، فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان "(٥).

ثم إنَّ الراهب كما يعرفه عادل فرج عبد المسيح هو:" المتوحد الذي اعتزل الناس؛ ليحيا منفرداً من غير زوجة وأولاد، وبعيداً عن المجتمع الكبير؛ ليتهيأ له الوقت الكافي لينمو نمواً باطنياً وروحياً "(٦).

ونظام الرهبانية يهدف عند النصارى كما جاء في قانون الرهبنة الذي صدر مؤخراً في مصر عن طريق المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية بقيادة البابا تواضروس الثاني(٧) إلى كمال محبة الرب، والمحبة الشاملة لجميع البشر، والانطلاق الحقيقي من العالم، وعدم الرجوع إليه؛ حيث إنَّ الرهبنة هي: الموت من العالم إرادياً ومعنوياً على حد تعبير الأنبا غريغوريوس(٨).

---

(١) دائرة معارف البستاني (٨ / ٦٨٨).
(٢) موسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٥٠).
(٣) المرجع السابق (٣ / ٥٧).
(٤) الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم (ص ١٠).
(٥) رسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح ١١، الفقرات ٣٧-٣٩.
(٦) موسوعة آباء الكنيسة (٢ / ٦٣).
(٧) انظر: قانون الرهبنة الجديد، إصدار المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية برئاسة البابا تواضروس الثاني ،القرار رقم (٢٠)، تاريخ: ٢٠١٣/٦/٢٠م ، نشر جريدة الوطن المصرية، تاريخ: ٢٠١٣/٩/١٧م.
(٨) انظر: موسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٤٤).

ويذكر الأنبا غريغوريوس أيضاً بأن الهدف من الرهبنة هو: الاتحاد بالرب والشخوص فيه، وهي ما يعرف بالرؤيا الطوبانية، وهذا الاتحاد ليس اتحاد طبيعة، وإنما اتحاد إرادة ومشيئة، كما سيأتي بيانه في الدرجة والمقام السابع من درجات ومقامات الرهبان(١).

المسألة الثالثة: الإطلاقات والتسميات التي تطلق على الرهبان وأماكن ترهبهم:

للرهبان وأماكن ترهبهم وخلوتهم إطلاقات وتسميات عدة تطلق عليهم، سواء كانت هذه الإطلاقات من قبلهم أو من قبل من كتب عنهم وذكرهم، ولعل من أهمها:

أولاً: الإطلاقات والتسميات التي تطلق على الرهبان:

الراهب وهو المتعبد في مكان الترهب، وهو الأساس في نظام الرهبنة، تطلق عليه تسميات وإطلاقات عدة، ولعل من أهم ما وقفت عليها في تضاعيف الكتب والقواميس في حقه ما يلي:

١-الراهب، وإطلاقه كثير جداً(٢).

٢-المعتزلين، وقد أطلقت هذه التسمية على أوائل الرهبان(٣).

٣-الديار، والديراني، والديرانية، والديري، نسبة للدير الذي يطلق على مكان الترهب(٤).

٤-الراكع، وهو صفة لعبادته(٥).

٥-الأبيل وسُمّي به الراهب لِتَأَبُّلِه عن النساء وترك غشيانهن، وقيل هو: ضارب ناقوس الدير، ويقال له: الأَيْبَلِيّ والأَيْبُلِيّ والهَيْبُلِيّ، وكلها بمعنى واحد(٦).

٦-القفَّال وسمي الراهب بذلك؛ لأن جلودهم قفلت؛ أي يبست من العبادة(٧).

٧-المتبتِّل، لتركه الزواج(٨).

٨-القَهَل، وهو من يبس جلده من العبادة(٩).

٩-الحبساء، ومفرده الحبيس، وهو من حبس نفسه في مكان ترهبه، وعن جميع ملاذ الدنيا(١٠).

١٠-الرَّبيط، وهو من ربط نفسه عن الدنيا، وابتعد عن ملاذها(١١).

(١) انظر: المرجع السابق (٣ / ٣٠، ٥٧، ٦١).
(٢) انظر: النصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٤-١٩٥).
(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية، مصطلح الرهبانية.
(٤) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١ / ٣٠٦)، ولسان العرب لابن منظور (٤ / ٣٠٠-٣٠١)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ٢٧)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٧، ١٩٩).
(٥) انظر: النصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٧٨).
(٦) انظر: المخصص لابن سيده (٤ / ٦٥)، ولسان العرب لابن منظور (١١ / ٣)، والمعجم الوسيط (١ / ٣)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٤).
(٧) انظر: النصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٥).
(٨) انظر: المرجع السابق (٢ / ١٩٦).
(٩) انظر: المرجع السابق.
(١٠) انظر: المرجع السابق (٢ / ١٩٧).
(١١) انظر: المرجع السابق.

١١-الجلاذي، وهو الخادم والغليظ الشديد(١).

١٢-النُّهاميُّ ويقال بالكسر: النِّهامِيُّ؛ لأنه ينهم أي يدعو، وقيل: لأنه زاهد باكي(٢).

١٣-الأشعث(٣).

١٤-المتعبِّد(٤).

١٥-المحرِّر(٥).

١٦-النذيرة من النذر، أي المنذور للرب(٦).

١٧-العذارى، ويطلق على الراهبات، وأطلق على بعض الأديرة دير العذارى(٧).

١٨-الناسك(٨).

١٩-السائح المتفرد في القفار والصحاري(٩).

هذه أهم التسميات التي وقفت عليها والتي تطلق على الرهبان، ويشترك في بعضها الذكور والإناث.

ثانياً: الإطلاقات والتسميات التي تطلق على أماكن تعبّد الرهبان:

إنَّ من أهم ما وقفت عليه من تسميات وإطلاقات أطلقت على أماكن ترهب وتعبد الرهبان ما يلي:

١- الصومعة، وتجمع على صوامع، وهي عادة ما تكون على الطرق(١٠)، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ ﴾(١١).

٢- التَّامُور ويقال أيضاً التَّأمُور، وهو الصومعة(١٢).

٣- الدير، ويجمع على أديرة وديارات، وأديار، ويقال لصاحبه ديار، وتكون خارج المدن(١٣).

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣ / ٤٨١)، والمعجم الوسيط (١ / ١٢٩)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٧- ١٩٨).

(٢) انظر: المحكم لابن سيده (٤ / ٣٣٦)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (٤ / ١٨٤)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٨).

(٣) انظر: النصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٨).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢ / ١٩٨).

(٥) انظر: المخصص لابن سيده (٤ / ٦٦)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٩).

(٦) انظر: المخصص لابن سيده (٤ / ٦٦)، النصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٩).

(٧) انظر: الديارات للشابوشتي (ص ٤٦)، وتاج العروس للزبيدي (١١ / ٣٥٦)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٩).

(٨) انظر: النصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ٢٠٠).

(٩) انظر: المرجع السابق (٢ / ١٩٩).

(١٠) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١ / ٣٠٧)، ولسان العرب لابن منظور (٨ / ٢٠٦)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ١٩)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٧٤،٢١٣).

(١١) سورة الحج، الآية ٤٠.

(١٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤ / ٩٢)، والمعجم الوسيط (١ / ٢٦)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ٢١٢).

(١٣) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١ / ٣٠٦)، ولسان العرب لابن منظور (٤ / ٣٠٠-٣٠١)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ٢٤٧)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ٢٧)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ٢١٢).

٤- القلاية، وهي معبد صغير للراهب لوحده، وهو منقطع عن البنيان[١].
٥- البيع، ومفردها بيعة[٢]، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعـالى﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ﴾[٣].
٦- الاسطوانة، وهي بناء مرتفع يترهب فيه الراهب، وليس عمود من الأعمدة[٤].
٧- الأُكَيْرَاح، والكِرح، وهي بيوت صغيرة يتعبد بها الراهب[٥].
٨- الصّرح، وهي الحجرة[٦].
٩- المنهمة من النُّهامِيُّ وهو اسم من أسماء الراهب[٧].
١٠-الناموس، وهو الهيكل الذي يتعبد به الراهب[٨].
١١-العُمْر، وهو المكان الذي يُعمر بالرهبان للتعبد[٩].
١٢-القُوس، وهي كلمة فارسية تعني مكان تعبد الراهب[١٠].

المسألة الرابعة: درجات ومقامات الرهبان:

للرهبانية أو الرهبان كما يعتقده ويقول به النصارى درجات ومقامات سبعة، فيهـا مـن التطرف والغلو والتعذيب ما نعتقد اعتقاداً جازماً بأن شرع عيسى عليه السلام منهـا بـريء، وهـي طريق طويل تبدأ بدرجة ومقام " تلميذ الرهبنة " وتنتهي بدرجة ومقام " الرؤيا الطوبانية "، وقد يموت الراهب قبل أنْ يصل للمقام الأخير فيها، ولا بد أنْ تكون هذه الدرجات والمقامات تحت إرشاد وتوجيه معلم وموجه ومرشد، ينتقل فيها الراهب من درجة إلى درجة، وتختلـف مـدة إكمال كل خطوة عن الأخرى، وتنقله من درجة إلى درجة يكون وفق معايير وعوامل معينـة، منها: استعداد الراهب وتحمسه، ومدى طاعته، وقدرته على تنفيذ تعليمات مرشـده، ودرجـة جده واجتهاده[١١]، وهذه الدرجات حسب الترتيب والأولوية وما يعتقده النصارى هي:

الدرجة الأولى: تلميذ الرهبنة:

وهي درجة المؤمن، ويطلق عليه تلميذ الرهبنة، وهو المؤمن الـذي تحـت الرهبنـة، ويكون تحت الاختبار والتجربة، ويقوم باختباره آباء الدير والصومعة، ويـروا مـدى محبتـه

(١) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١ / ٣٠٧)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٣ / ١٨٧)، ومعجم ما استعجم للبكري (٣ / ١٠٨٩)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شـيخو اليسوعي (٢١١،٢١٣/٢)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص ١٣).
(٢) انظر: النصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ١٩٨، ٢٠١-٢٠٢).
(٣) سورة الحج، الآية ٤٠.
(٤) انظر: تاج العروس للزبيدي (٣٥ / ١٨٦)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢١١/٢).
(٥) انظر: المحكم لابن سيده (٣ / ٣٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤ / ٦١)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ٢١١،٢١٤).
(٦) انظر: النصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ٢١٢).
(٧) انظر: المرجع السابق (٢ / ٢١٤).
(٨) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣ / ١٦)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ٢١٤).
(٩) انظر: تاج العروس للزبيدي (١٣ / ١٢٣)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢١٣/٢).
(١٠) انظر: المعجم الوسيط (٢ / ٧٦٦)، والنصرانية وآدابها للأب لويس شيخو اليسوعي (٢ / ٢١٤).
(١١) انظر: موسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٥٧).

للرب، ومحبته للرهبنة، ومدى طاعته واتضاعه، ويوكل له بعض الخدمات في الدير مع مراقبته وتوجيهه.

الدرجة الثانية: درجة الراهب المبتدئ:

وهو الشخص الذي أعطى النذور الأولى للرهبنة؛ كنذر التبتل، والفقر، والطاعة، ويصلى عليه صلاة الموتى، ويلبس لباس الرهبنة، ويطلب منه متطلبات روحية؛ كالصلوات السبع اليومية، وقراءات في الكتاب المقدس، والصيام، ومشاركة الرهبان في الصلوات العامة، وبعض الأعمال الخدمية.

الدرجة الثالثة: درجة العابد:

وهو الشخص الذي بدأ يطيل في صلواته، ويكثر منها دون ملل وتضجر، ويمكث في قلايته تحت إشراف أب الاعتراف يوماً أو أكثر من يوم، وقد يصل إلى أسبوع دون أن يخرج منها، حتى تصبح قلايته عنده كأنها فردوس النعيم.

الدرجة الرابعة: درجة الناسك:

وهو من يطيل العبادة والقراءة أكثر من سابقه، ويلبس لباس الإسكيم الذي يحتوي على اثني عشر صليباً، ويعيش الناسك منفرداً يميل إلى الصمت التام بحيث لا يتجاوز كلماته عن سبع كلمات في اليوم، ممتنعاً عن أكل اللحم ولا يأكل إلا قليل الطعام فقط.

الدرجة الخامسة: درجة المتوحد:

هي درجة الراهب الحقيقية، بحيث يترك العبادة إلى ما هو أقوى منها، ويعيش منزوياً منفرداً بعيداً عمن في الدير، وقد تمر عليه الشهور ولا يرى إنساناً، وقد تمر عليه عشرات السنوات لا يرى، حيث يمكث في مناطق بعيدة داخل الدير، ويكتفي بالقليل من الطعام، قد تكون أعشاباً من الجبال، ويتفرغ للتعبد والترهب.

الدرجة السادسة: درجة السائح:

وهي درجة التوهان جسدياً وروحياً، بحيث لا يرتبط الراهب بمكان، ولا يملك في الحياة شيئاً يخصه، وكل همه التأمل والشخوص في الرب، فيصبح جسده وروحه تائهين وخارجين عن الدنيا وعن العالم إلى عالم التأمل الفكري والعقلي والروحي، فهو في العالم لكنه ليس في العالم، ولا يصل لهذه الدرجة إلا بعد أنْ يمكث وقتاً طويلاً في الدرجة التي قبلها، وغالباً من يصل لها من أفنى الخمسين عاماً في الرهبنة.

الدرجة السابعة: درجة الرؤية الطُوبانية:

وهي درجة الرؤية الإلهية، وتسمى الطوبانية أو الثيئوريا بمعنى ناظر الله أو الرؤية في الله، وهي تتبع الدرجة السابقة، وهي مقام ودرجة الشخوص في الرب والاتحاد به، اتحاداً

روحانياً لا كيانياً، بمعنى سقوط الرغبات والرغائب عن الراهب، فتصبح إرادة الرب هي إرادته، ومشيئة الرب هي مشيئته، فهو اتحاد إرادة ومشيئة، فلا فرق بين الإرادتين والمشيئتين بينهما، وهي درجة الفناء والبقاء بعد الفناء، فهو لا يشعر بنفسه ولا عقله، فهو في محلة ومقام الاختطاف العقلي والانجذاب الفكري، وقد يتيه صاحبها في الصحراء والبراري أوقاتاً طويلة لا يشعر بما يحدث له؛ لأنه واقع في الاختطاف والانجذاب العقلي والفكري [١].

أخيراً: هذا هو مفهوم الرهبانية، وهذه أهدافها، وأهم إطلاقات وتسميات رهبانها وأماكن تعبدهم، ودرجاتها السبع، فهي إذن: نظام وأسلوب حياة يتقرّب به المترهب إلى ربه، مشتمل على طقوس وعبادات وشعائر ودرجات تدور في فلك الابتعاد والانقطاع عن الدنيا وزينتها، فيها العنت والمشقة والشدة والتطرف، وفساد الاعتقاد، وتكليف النفس ما لا تطيق.

المبحث الثاني: نشأة الرهبانية في المسيحية

قبل الحديث عن بدايات ظهور الرهبانية ونشأتها في المسيحية أود أنْ أشير إلى أنَّ القرآن الكريم ذكر لنا بوضوح وجلاء أنَّ الرهبانية وما اشتملت عليه من شعائر وطقوس لم تكن في شرع الله الذي أنزله على نبيه ورسوله عيسى ﷺ وأنَّ الرهبانية ما هي إلا بدعة محدثة أحدثها النصارى بعد رفع المسيح ﷺ بسنوات طوال، وهذا ما اعترف به أيضاً العديد من النصارى كما سيأتي بعد قليل عند الحديث عن بدايات ظهور ونشأة الرهبانية، وكذا عند الحديث عن أسباب ظهورها.

فالله عز وجل نص في القرآن الكريم على أنَّ الرهبانية ليست دين أصيل؛ بل هي أمر مبتدع، حيث يقول سبحانه في كتابه العزيز: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[٢].

فالآية الكريمة تحدثت عن ابتداع الرهبانية، وأنَّ الله سبحانه وتعالى لم يشرعها لهم وإنما هم من شرعها وابتدعها مريدين ببدعتهم حسب زعمهم رضوان الله، ومع أنهم شرعوها لأنفسهم وابتدعوها لم يراعوا ما ابتدعوه حق الرعاية، بل خالفوا بدعتهم وشرعتهم التي شرعوها، وسيأتي في المباحث القادمة -بإذن الله- الحديث عن المخالفات والمنكرات التي خالفوا فيها ما ابتدعوه.

---

(١) انظر هذه الدرجات والكلام عنها: موسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٣٢- ٤٠ ، ٥٧)، وموسوعة آباء الكنيسة لعادل فرج عبد المسيح (٢ / ٦٣-٦٤)، وينظر أيضاً موقع الأنبا كاراس السائح على الشبكة العنكبوتية: http://www.avakaras.org/showthread.php?t=٥٧٣١.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٧.

قال ابن جزي –رحمه الله– في بيان المقصود بقوله ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا ﴾:" ومعنى ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا ﴾ أي: أحدثوها من غير أنْ يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رأفة ورحمة؛ أي: جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، وابتدعوها صفة للرهبانية، والجعل هنا بمعنى الخلق "[1].

ثم قال –رحمه الله– في بيان المقصود بقوله تعالى: ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾:" كتبنا هنا بمعنى: فرضنا وشرعنا، وفي هذه قولان؛ أحدهما: أنَّ الاستثناء منقطع، والمعنى: ما كتبنا عليهم الرهبانية؛ ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله، والآخر: أنَّ الاستئناف متصل، والمعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله، والأول أرجح لقوله: ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا ﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود: (ما كتبناها عليهم؛ لكن ابتدعوها).﴿ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾أي لم يدوموا عليها "[2].

وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فصّل في كتابه " الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح " القول في بيان المقصود بالآية الكريمة، وما اشتملت عليه من عطف واستثناءات، وبيّن المقصود بكلمة ﴿وَجَعَلۡنَا ﴾ الواردة في الآية؛ حيث قال –رحمه الله– بعد أنْ ذكر أنَّ في قوله: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ﴾ قولان؛ أولهما: النصب وعدم العطف على ما قبلها، والثاني: العطف على ما قبلها، وذلك بعد ترجيحه للثاني:" والقول الثاني: إنها معطوفة عليها فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة، ويكون هذا جعلاً خلقياً كونياً، والجعل الكوني يتناول الخير والشر؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾[3] ... ثم قال ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ أي: لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمر به لا بما يبتدع؛ وهذا يسمى استثناءً منقطعاً "[4].

وقال أيضاً:" القول الذي ذكرناه هو الصواب، وأنه استثناء منقطع؛ فتقديره: وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم؛ لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، فإنَّ إرضاء الله واجب مكتوب على الخلق، وذلك يكون بفعل المأمور، وبترك المحظور، لا بفعل ما لم يأمر بفعله، وبترك ما لم ينه عن تركه، والرهبانية فيها فعل ما لم يؤمر به، وترك ما لم ينه عنه "[5].

---

(١) تفسير ابن جزي (ص ٧٤٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة القصص، الآية ٤١.

(٤) الجواب الصحيح (٢ / ١٩٠-١٩١).

(٥) المرجع السابق (٢ / ٢٠٠).

وقال -رحمه الله- عن قوله تعالى في حق من ابتدع الرهبانية من النصارى ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾:" ذم من ابتدع البدعة ولم يرعها حق رعايتها أعظم من ذم من رعاها، وإنْ لم يكن واحد منهما محموداً؛ بل مذموماً، مثل نصارى بني تغلب ونحوهم ممن دخل في النصرانية ولم يقوموا بواجباتها؛ بل أخذوا منها ما وافق أهواءهم، فكان كفرهم وذمهم أغلظ ممن هو أقل شراً منهم، والنار دركات كما أنَّ الجنة درجات "(١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ أي: ابتدعتها أمة النصارى ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم ... وقوله: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا ذم لهم من وجهين؛ أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل "(٢).

ثم بعد أن تبين لنا بدعية الرهبانية في النصرانية، سنشرع – بإذن الله – في الحديث عن نشأة الرهبنة في المسيحية، وكيف نشأت؟ ومن أول من قام بإنشائها؟ ومتى كان ذلك؟

ذكر الباحثون من النصارى وغيرهم أنَّ نظام الرهبنة في النصرانية أول ما نشأ نشأ عند أتباع الكنيسة الشرقية المصرية الأرثوذكسية القبطية في مصر، وذلك بعد رفع المسيح عليه السلام بأكثر من مائتي عام تقريباً في أواخر القرن الثالث وبدايات ومنتصف الرابع الميلادي(٣).

ويعدُّ كما يذكر المؤرخون والباحثون مؤسس النظام الرهباني والمنشئ الحقيقي له ومبدعه هو القديس أنطونيوس (٢٥٦- ٣٥٦ م) وذلك في مصر كما أسلفت، وهو يعدُّ أول من استحدث النظم والترتيبات لراغبي الحياة الرهبانية، وقد ولد في بلدة (كوما) المسماه (قمن العروس) في محافظة بني سويف حالياً، من أسرة غنية متعلمة، وقد فضّل حياة التقشف والزهد والجوع والتنسك والرهبنة على حياة الغنى والترف والتلذذ منذ شبابه إلى مماته، فارتحل للفيافي والصحاري بعد أن قسّم ثروته التي ورثها من أبويه، وهو في أوائل العشرين من عمره، حتى قيل إنه كان لا يأكل إلا الخبز الجاف المملح، ثمّ كوّن له أتباعاً ورهباناً ووضع العديد من النظم والقوانين للحياة الرهبانية، وسكن في بداية ترهبه في كوخ صغير على النيل، ثم بعدها وهو في الثلاثينات من عمره ارتحل للمناطق الجبلية الشرقية في منطقة بسبير مكان دير الميمون حالياً بين منطقتي أطفيح وبني سويف، وكثر حوله النساك والزهاد، وكثرت حوله الصوامع، وكان يأتي لعباد ونساك تلك الصوامع التي حوله ويعلمهم مبادئ

(١) المرجع السابق (٢ / ١٩٨-١٩٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٨ / ٢٩).
(٣) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص٧)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ١٢-١٣)، وموسوعة آباء الكنيسة (٢ / ٦١-٦٢)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ١٠٠-١٠٣)، والموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٥٦٨)، وأطلس الأديان لسامي المغلوث (ص ١٧٦).

الرهبانية وأسسها، كما أنه كان يتردد أحياناً على كنيسة الإسكندرية لنشر مبادئ الرهبنة فيها، فرهبانية أنطونيوس إذن لم تنشأ في حضن الكنيسة إنما نشأت في خارج الكنيسة أول نشوئها[١].

ثم إنَّ مصطلح الرهبانية لم يكن موجوداً في النصرانية قبل أنطونيوس، فأنطونيس هو أول من أنشأه وأنشأ قوانينه.

يقول الدكتور حكيم أمين: " اسم الرهبانية لم يسبق أنْ ظهر حتى وقت أنطونيوس، بل أطلق المعاصرون على الواحد من أصحاب الحياة الانعزالية (الناسك المنعزل في قلايته)"[٢].

ثم إنَّ الرهبانية تطوّرت مع القديس باخوميوس (٢٩٠-٣٤٦م) المعاصر للقديس أنطونيوس، حيث أخذ يكّرز لها في أقاصي الجنوب من نهر النيل، وهو واضع نظام الأديرة ومؤسسه، ومعه في التكريز كان شقيقته الراهبة ماري[٣].

وكذلك تطورت مع القديس باسيل أو بازل القيصري (ت ٣٧٨م)، ومعه شقيقته ماكرينا، فتكونت بذلك رهبانيات وأديرة تضم المترهبين والمتقشفين، يتشاركون في حياة الرهبنة جنباً إلى جنب[٤].

كما تطورت على يد القديس اثناسيوس الرسولي الذي كتب سيرة شيخه وأستاذه القديس أنطونيوس في كتابه " حياة أنطونيوس " المؤلف سنة (٣٥٦م) كما يذكره مؤرخو النصارى؛ كجيروم وغيره، وانتقل بسيرته ونظامه إلى رومية الإيطالية، كما كتب عن سيرة القديس باخوميوس مطوّر الرهبانية بعد أنطونيوس، ولقد لقّب اثناسيوس الرهبانية بلقب " الطقس الملائكي"[٥].

ثم إن هذا لا يعني أنه لا يوجد قبل القديس أنطونيوس بعض مقدمات الرهبنة والحياة الانعزالية من خروج للصحاري والقفار بسبب الاضطهادات وغيرها كما سيأتي، فقد ذكر المؤرخون النصارى أن هناك عدداً من الزهاد والعباد خرجوا للفيافي والصحاري قبل ذلك[٦].

---

(١) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص ١٠، ٢٢-٢٥، ٣١-٣٦)، وموسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٥٣ ، ٧٥-٧٨)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص١٣، ١٧-٢١)، وموسوعة آباء الكنيسة لعادل فرج عبد المسيح (٢ / ٦٤-٦٥)، وبدعة الرهبنة للشماس حنين عبد المسيح (ص١٣)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١٠٣-١٠٤).

(٢) دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية (ص١٦-١٧).

(٣) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص١٠)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٢-٢٦)، وموسوعة آباء الكنيسة لعادل فرج عبد المسيح (٢ / ٥٦-٦٦)، والمعجم الموسوعي للديانات والعقائد لسهيل زكار (٢ / ٤٤٦)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ١٠٤-١٠٥)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٢-٢٦).

(٤) انظر: النصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١٠٦)، والمعجم الموسوعي للديانات والعقائد لسهيل زكار (٢ / ٤٤٦)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٢-٢٦).

(٥) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص١٣-١٧).

(٦) انظر: دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص١٦-١٧)، وموسوعة آباء الكنيسة (٢ / ٦١-٦٢).

ومن أولئك العباد فرونتنيوس أحد أغنياء الإسكندرية؛ فقد خرج إلى صحراء نطرون التي تبعد (٦٠ كيلو متراً عن الإسكندرية) سنة (١٥٠م)، وكان بصحبته عدد من العباد، قيل إنهم وصلوا للسبعين رجلاً، وذلك في عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس (١٣٨-١٦١م) وسرعان ما انفض عنه أصحابه لنقص الطعام وقلة الماء[١].

ومنهم أيضاً الأنبا بولا الطيبي (٢٢٨- ٣٤٣ م) في عهد الإمبراطور ديسيوس (٢٥٠ م) وقد كان بولا من أسرة غنية، وقد هرب إلى الصحراء خوفاً من الاضطهاد والنجاة من آثار الخلاف في توزيع الميراث بينه وبين أخيه كما يقال، وقد لجأ لمغارة على البحر الأحمر ويذكر مؤرخو النصارى أنها المكان الذي يوجد فيه دير الأنبا بولا الطيبي الحالي، وقد التقى الأنبا بولا الطيبي كما يقال بمؤسس النظام الرهباني القديس أنطونيوس[٢].

ويذكر بعض الباحثين أنَّ الأنبا بولا يعدُّ من المؤسسين جنباً إلى جنب مع القديس أنطونيوس[٣].

ونجد الدكتور النصراني حكيم أمين يرد على هذا القول ويذكر أنَّ الأنبا بولا لم يقصد بخروجه للصحراء إلا التعبد والتنسك مبتعداً عن المشكلات والاضطرابات، ولم يقصد تأسيس نظام رهباني كما فعل القديس أنطونيوس الذي نجح في ذلك، وعنده وعند غيره أنَّ القديس أنطونيوس هو الذي يعدُّ المؤسس الحقيقي للنظام الرهباني في المسيحية[٤].

ويذكر الإمام القاسمي أنَّ بعض مبادئ الرهبنة خرجت من حضن بولس[٥]، وهو المعروف قبل تنصره بشاوول اليهودي، الذي يعدُّ في الحقيقة مؤسس الديانة النصرانية الحالية بما فيها من تحريفات وأباطيل، وكلام القاسمي لا يعارض القول بأن المؤسس الحقيقي لنظام الرهبنة هو القديس أنطونيوس، فالمراد هو الدلالة على أنَّ بولس كان له كبير الأثر -كما سيأتي- في أسباب وعوامل ظهور الرهبانية.

ثم بعد ظهور ونشأت الرهبانية في الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية المصرية انتشرت في بقية كنائس الشرق والغرب في ذلك الحين[٦].

وكان دخولها للكنيسة الغربية الكاثوليكية على يد القديس كاسليان (٣٧٠ - ٤٢٥م)، ومارتن التوري (٣١٦ - ٣٨٧م) [٧].

(١) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص ١٠)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص١٣-١٤).
(٢) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص١٠)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ١٥-١٨)، وموسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٧٣-٧٤)، والموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٥٦٨)، وأطلس الأديان لسامي المغلوث (ص١٧٦).
(٣) انظر: دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ١٧)، والموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٥٦٨)، وأطلس الأديان لسامي المغلوث (ص ١٧٦).
(٤) انظر: دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ١٥-١٧).
(٥) انظر: محاسن التأويل (٩ / ٤٧).
(٦) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٥)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص٧-٨).
(٧) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٥٦٨)، وأطلس الأديان لسامي المغلوث (ص ١٧٦).

قال الأنبا مارتيروس:" عندما شعر العالم المسيحي بقوة هذه الحركة الرهبانية التي نشأت في الكنيسة القبطية، تهافت الجميع على معرفة أسرارها، والنهل منها، والإقبال عليها، ومن هذا المنطلق انتشرت الحياة الرهبانية إلى العالم أجمع، وأصبحت الكنيسة القبطية لها السبق في هذا الموضوع ... وإذا كان الأنبا أنطونيوس هو أب جميع الرهبان؛ فإنَّ الحياة الرهبانية هي الأم لجميع رهبانيات العالم"[(١)].

وقبل الانتهاء من هذا المطلب أود أنْ أشير إلى مسألة مهمة؛ وهي: أنَّ الطائفة الإنجيلية البروتستانتية الإصلاحية التي ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي؛ أتباع مارتن لوثر، لا تقر بنظام الرهبانية، بل هي ممن حاربته ورفضته، وأما بقية الكنائس المسيحية؛ سواء كانت الأرثوذكسية الشرقية من الأقباط وغيرهم، أو الكنيسة الكاثوليكية الغربية فإنهم يقرون بنظام الرهبانية، بل هم القائمون عليه وعلى تطويره[(٢)].

ولكننا نجد أحياناً خرقاً عند البروتستانت في محاربتهم للرهبانية، فبين الفينة والأخرى نجد بعض الجماعات البروتستانتية تنظم بعض المجموعات الدعوية من الدعاة والعباد تطلق عليهم دعاة التقوى، وهم جماعات رهبانية دعوية أثرت على بعض مناطق أوروبا وأمريكا، ومن تلك الجماعات الرهبانية جماعة مورافيا سنة (١٧٢٢م)، وجماعات دينية رهبانية بروتستانتية أخرى ظهرت في ألمانيا وإنجلترا وفرنسا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث يوجد الآن منهم آلاف الأعضاء في نحو (١٠٠) جمعية أسقفية بروتستانتية منتشرة في أنحاء العالم[(٣)].

يقول الدكتور والباحث النصراني الشماس حنين عبد المسيح، مجيباً على سؤال طرحه في ذم الرهبانية وإنكارها وهو: كيف أضرت الرهبنة بالكنيسة؟: " كان انتشار بدعة الرهبنة هذه وبالاً على الكنيسة الأرثوذكسية عامة والمصرية (القبطية) خاصة؛ حيث قدمت للشعب طريقاً مغلوطاً للقداسة، غير الذي وضعه المسيح وكتابه المقدس، فالقداسة الحقيقية هي: أن تحفظ نفسك عفيفاً وتقياً وتكون قدوة حسنة في وسط العالم والناس، وليس بالهروب بعيداً عنهم، والقداسة الحقيقية ليست في معاداة الجسد وقهره؛ بل التصالح معه، وضبط شهواته، مع الحفاظ على سلامته والعناية به والقداسة الحقيقية ليست بالهروب من الزوج والمرأة؛ بل في التعامل معها ببساطة وبراءة وطهارة؛ كأخت أو أم أو ابنة "[(٤)].

---

(١) الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم (ص٧-٨).

(٢) انظر: قصة الحضارة لول ديورنت (٢٣ / ٢٤٩، ٣٦١، ٣٧٠)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ٢٦٠)، والإنجيل والصليب لعبد الأحد داود (ص ٢٤، ١٧٤)، والموسوعة العربية العالمية تحت عنوان (الحياة الدينية في النصرانية)، والموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٦٢٢).

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية تحت عنوان (الحياة الدينية في النصرانية).

(٤) بدعة الرهبنة (ص ١٥).

ويقول أيضاً:" الرهبنة بدعة مستحدثة في القرن الرابع الميلادي، ولم تكن تعرفها المسيحية لمدة (٣) قرون، ولا علاقة لها بالمسيح وتعاليمه؛ بل هي بدعة أرثوذكسية خالصة"[١].

ثم بعد أن بينا نشأة الرهبانية وبدعيتها في القرآن الكريم وعند النصارى أنفسهم، واختلاف طوائفهم في قبولها أقول: إنَّ النظام الرهباني بعد نشأته وابتداعه في المسيحية مرّ بمراحل تطويرية متعددة، وصل بها لما هو عليه الآن في وقتنا المعاصر، سنتحدث عنها – بإذن الله – في مبحثنا القادم.

المبحث الثالث: مراحل تطور الرهبانية في المسيحية وأنماطها

إنَّ الرهبانية المسيحية ونظامها الذي نشاهده اليوم مرّ بمراحل متعددة حتى وصل إلى ما وصل إليه، وبعد النظر فيما ذكره المؤرخون والباحثون في تاريخ المسيحية وعقائدها وطقوسها، نستطيع أنْ نقول: إنَّ الرهبانية مرت بمراحل متعددة، تصبو في جميع مراحلها لتحقيق هدف واحد، هو التعبد والتقشف والتنسك وترك الدنيا وملذاتها، وتجويع الجسد وتطهير الروح، والسمو بها لمقامات عالية تصل للشخوص والاتحاد في الرب، كما تقدم بيانه، وكما يعتقده النصارى، ولكل مرحلة من مراحل تطورها أدواتها التي تحقق به هدفها الموحد، وهي كالتالي:

المرحلة الأولى: هي مرحلة البدايات، وذلك بلجوء بعض العباد والنّساك والزهاد فرادى ووحداناً وليس جماعات، دون تنظيم معين، للبراري والصحاري والكهوف والمغارات مبتعدين عن المدنية وصواخبها وضغوطاتها ومشاكلها وحروبها، قاصدين التعبد والتقشف والزهد والتأمل ومحاربة الجسد وتزكية وتطهير الروح، ونستطيع أنْ نطلق على هؤلاء الزهاد الأوائل مصطلح (الاختلائيين) لاختلائهم في الكهوف وأماكن الترهب بأنفسهم دون شريك لهم[٢].

المرحلة الثانية: هي مرحلة تجمع الاختلائيين من الزهاد والعباد في مناطق متقاربة، وفي صوامع متجاورة، وتقوقعهم وانطوائهم على أنفسهم، خوفاً على أنفسهم من اللصوص وقطّاع الطرق، والحيوانات المفترسة، وقيام الاختلائي النّاسك مؤسس نظام الرهبنة الأول القديس أنطونيوس بزيارتهم في مكان ترهبهم وتكريز معالم ومفاهيم النظام في نفوسهم[٣].

(١) المرجع السابق (ص ١٧).

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٤-٢٤٥)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١٠٣)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص٢٩٩)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٢).

(٣) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٥)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ١٠٣)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ٢٩٩)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص ١٠)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص١٣، ١٧-٢٢)، وبدعة الرهبنة للشماس حنين عبد المسيح (ص ١٣).

المرحلة الثالثة: هي مرحلة ظهور الأديرة، مرحلة " الشراكة "، حينما اقتربت الصوامع من بعضها البعض، فمع استمرار وجود اللصوص وقطاع الطرق والحيوانات الضارية رأى الرهبان بناء أسوار كبيرة تضم الصوامع وبيوت الرهبنة في مكان واحد يجتمع فيه الرهبان، ويتشاركون في المطعم والمشرب، ويقومون بأعمال ونظام وحياة الرهبنة سوياً، تحت ما يعرف بالدير، وللدير نظام خاص كل يعرف فيه مسؤليته، وكان رائد ذلك وواضعه هو القديس باخوميوس، وانتشرت بعد ذلك الأديرة وبنيت هنا وهناك، وهذا لا يمنع استمرار وجود الاختلائيين والمترهبين المنعزلين لوحدهم، فقد ظل الكثير منهم على طريقته، وبعضهم يجتمع في نهاية الأسبوع مع الآخرين في الدير لأخذ التعاليم[(١)].

المرحلة الرابعة: ظهور ما يعرف بالناشطين من الزهاد والنساك والرهبان؛ الذين انتشروا في الحواضر والمدن للتكريز بالرهبانية والدعوة للنظام، ونبذ حياة الترف والبذخ وترك ملاذ الدنيا وخيراتها تأسياً بالقديس أنطونيوس الذي كان يفعل ذلك بين الفينة والأخرى[(٢)].

المرحلة الخامسة: انتشار نظام الرهبنة بشكل سريعٍ وموسعٍ منطلقاً من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إلى دول غربية تتبع الكنيسة الكاثوليكية؛ كإيطاليا وفرنسا وأسبانيا وغيرها من دول غربية، وكذا إلى شمال أفريقيا، وغيرها من دول الشرق، وذلك في نهايات القرن الرابع الميلادي[(٣)]، ثم انتشر النظام بعد ذلك إلى يومنا هذا، بعد أن وجد في البداية اعتراضات من الكنيسة وأساقفتها، كما حدث في أسبانيا عندما قرر مجمع سرقسطة (٣٨٠م) منع القساوسة من الحياة الرهبانية، لكن سرعان ما انهار ذلك، وأصبح بعض القساوسة والأساقفة من الرهبان[(٤)]، وكان من أوائل من أدخل الرهبانية للدول الغربية القديس كاسليان (٣٧٠-٤٢٥م)، ومارتن التوري (٣١٦-٣٨٧م) [(٥)].

والناظر في نظام الرهبنة في الكنيسة الغربية الكاثوليكية، يجد أنه امتاز بخصائص متعددة تفوّق بها على الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية القبطية المؤسسة، ولعل من أهمها[(٦)]:

---

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٥)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ٢٩٩)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٢-٢٦)، وموسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٦٦).

(٢) انظر: النصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١٠٣)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص١٥)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ١٩-٢٠، ٢٣).

(٣) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٧)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١٠٧)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٢)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص١٥)، وموسوعة آباء الكنيسة لعادل فرج عبد المسيح (٢ / ٦٣).

(٤) انظر: دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٢).

(٥) انظر: موسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٦٩-٧٢)، والموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٥٦٨)، وأطلس الأديان لسامي المغلوث (ص ١٧٦).

(٦) انظر: النصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ١٠٧-١٠٨).

أولاً: نشاطها الملموس والمشاهد في المجالات الاجتماعية داخل المجتمع، وفي مراكز المدن ومشارفها، وذلك على الرغم من منهج الاعتزال والفرار والخلوة الذي تطبقه.

ثانياً: الوصول لأبناء الطبقات الارستقراطية الغنية وجذبهم إما في الدخول في نظام الرهبنة، أو تسخير أموالهم وثرواتهم لإقامة الرهبانيات على مقاطعاتهم وأراضيهم، والإنفاق عليها ودفع الأموال لها.

ثالثاً: الارتباط الوثيق بين الرهبانية والرهبان وبين المؤسسات الكنسية وجميع رجالاتها وأفرادها.

ومما سبق نستطيع أنْ نقول إنَّ للرهبنة ثلاثة أنماط مختلفة، هي:

النمط الأول: نمط التوحد والانفراد؛ أي: انفراد الراهب وعزلته وحيداً في مكان ترهبه وعبادته، وهو النمط الذي أسسه وشرعه القديس أنطونيوس (٢٥٦- ٣٥٦م) منذ أوائل تأسيس نظام الرهبانية[١].

النمط الثاني: نمط الشراكة؛ أي: تشارك الرهبان في المطعم والمشرب في مكان واحد، وهو الدير أو مكان الترهب والتعبُّد، وهو المنتشر الآن في أديرة العالم كلها، وواضعه ومؤسسه هو القديس باخوميوس (٢٩٠-٣٤٦م)[٢].

النمط الثالث: نمط الفردية المترابطة أو التفرد المترابط، بحيث يعيش الرهبان فرادى في أماكن ترهبهم وتعبدهم، ويجتمعون نهاية الأسبوع في الكنيسة يستمعون للتعاليم ويتناولون الطعام سوياً، وواضعه هو القديس مكاريوس الكبير (٣٠٠-٣٩٠ م)[٣].

هذه أهم مراحل نشأة وتطور نظام الرهبانية في المسيحية وأنماطها، وليعلم أنَّ هناك أسباباً وعوامل كثيرة أدت وساعدت في نشأته وظهوره، وهي ما سنذكره ونتطرق إليه في مبحثنا القادم بإذن الله تعالى.

المبحث الرابع: أسباب وعوامل ظهور الرهبانية في المسيحية

تكلمنا في المطالب السابقة عن نشأة الرهبانية، والمراحل التي مرت بها، كما تكلمنا عن مسألة مهمة وهي بدعية الرهبانية، وأنها لم تكن من دين المسيح ﵇، وأنها بدعة ظهرت بعد رفع المسيح ﵇ بسنوات طوال، ثم أنَّ هذه البدعة التي ظهرت لم تظهر دون أسباب وعوامل تسببت وتظافرت في نشأتها وظهورها، فهناك عدة أسباب كان لها عظيم الأثر في نشأتها

(١) انظر: موسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٥٣- ٥٤ ، ٦٧)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٢)، وموسوعة آباء الكنيسة لعادل فرج عبد المسيح (٢ / ٦٢-٦٣).

(٢) انظر: موسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٥٣-٥٦ ، ٦٥ ، ٦٧)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٤-٢٦)، وموسوعة آباء الكنيسة لعادل فرج عبد المسيح (٢ / ٦٢-٦٣).

(٣) انظر: موسوعة آباء الكنيسة لعادل فرج عبد المسيح (٢ / ٦٢-٦٣).

وظهورها، ولعلنا في هذا المطلب سنتعرف عن كثب على تلك الأسباب والعوامل التي أدت وساعدت في ظهور وتنمية هذه البدعة في المسيحية، وهي كالتالي:

أولاً: اضطهاد اليهود والرومان للمسيح عليه السلام وأتباع الديانة المسيحية:

إنَّ السياسة التي كانت تنتهجها الدولة الرومانية الوثنية مع رعاياها من أصحاب الديانات الأخرى كانت سياسة التسامح لحد ما، بحيث سمحت لهم التعبد وفق ديانتهم الخاصة، طالما لا يوجد هناك أي تعارض مع مصالحها، وكانت لا تسمح لأتباعها بالانضمام لديانات أخرى، ومن ثبت في حقه اعتناق أي ديانة فهناك قوانين صارمة تصدر في حقه، وكان اليهود يعيشون في ظل الدولة الرومانية وفي حمايتها، ولم يكن يصدر منهم إلا في بعض الأوقات ما يزعج الرومان من بث نار الحقد والعصبية؛ فيقوم الأباطرة بعقابهم وتحجيمهم في حينها، مع التحذير منهم ومن تعصبهم وحقدهم؛ ولكنهم في الجملة كانت لهم الحرية في طقوسهم وحياتهم، وحينما ظهر المسيح عليه السلام عاداه اليهود وحاربوه، وألبوا السلطان الروماني طيباروس عليه ونجحوا في إصدار مرسوم في قتله وصلبه عليه السلام لكن الله نجاه ورفعه إليه كما في اعتقادنا نحن أهل الإسلام، بينما في اعتقاد اليهود والنصارى والرومان أنه قتل وصلب على خشبة الصلب[(١)].

وبعد رفع المسيح عليه السلام إلى السماء لم ينته اليهود من تأليب الرومان على الديانة الجديدة، فنجحوا في ذلك أيما نجاح، فقام الرومان بمحاربة أتباع المسيح أيما محاربة، ولا سيما أنَّ الرومان يعتقدون أنَّ الديانة الجديدة جزء من ديانة اليهود المتعصبة، فهي عندهم ديانة تصحيحية تتضمن حقد اليهود وعنصريتهم[(٢)].

ومما زاد عندهم من الحقد عليها أنَّ المسيحية أصبحت لها شأن وأتباع، وأصبحت دعوة عامة بعد أنْ كانت في بدايتها خاصة، وذلك على يد بولس (شاوول اليهودي) الذي أخرجها من خراف بني إسرائيل الضالة[(٣)] كما جاء في نص إنجيل متى، حيث جاء فيه عن المسيح أنه قال:" لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[(٤)]، وفيه أيضاً عن المسيح أنه قال:" لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمّل "[(٥)]، وجعلها بولس للناس كافة كما تضمنته رسائله؛ حيث جاء في رسالته إلى أهل رومية:" ثم لست أريد أنْ

---

(١) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (١٢ / ١٨١)، والمسيحية نشأتها وتطورها لشارل جينيبير (ص ١٦٦)، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص ٣٦)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١١٦-١١٧)، وأضواء على المسيحية لمتولي شلبي (ص ٢١-٢٣).

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ٨٢)، وأضواء على المسيحية لمتولي شلبي (ص ٢٣)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنية (ص ٧٧-٧٨).

(٣) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١١٦-١١٧)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ١٣١)، وأضواء على المسيحية لمتولي شلبي (ص ٢٢)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٢٢٣)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنية (ص ١٩٠-١٩٣).

(٤) إنجيل متى، الإصحاح ١٥، الفقرة ٢٤.

(٥) إنجيل متى، الإصحاح ٥، الفقرة ١٧.

تجهلوا أيها الإخوة أنني مراراً كثيرة قصدت أن آتي إليكم ومنعت حتى الآن؛ ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر الأمم. إني مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء. فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية ايضاً. لأني لست أستحي بإنجيل المسيح؛ لأنه قوة الله للخلاص، لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني"(١)، وفي رسالته إلى كورنثوس الأولى:" لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سقينا روحاً واحداً "(٢)، وفي رسالته إلى أهل غلاطية:" ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى؛ لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع "(٣).

هنا شعر الرومان بخطر هذه الدعوة على سلطانهم، فاليهودية كانت ديانة منغلقة، وكذا بدايات النصرانية(٤)، لكن بدأ التغير عند المسيحية، فقد أصبحت ديانة دعوية، فهي ضد وثنيتهم، وضد تأليه آلهتهم، وتحريم تقديم القرابين لهم، بعكس اليهود الذين كانوا يقدمون بعض القرابين في الهيكل سنوياً من أجل الإمبراطور، وكذا مبادئها التي تدعو للمساواة تناقض ما قامت عليه الدولة الرومانية من نظام طبقي يقوم على الامتيازات، ويفرق بين طبقات المجتمع، ومبادئها الأخرى التي تدعو بالكفاف الاقتصادي، وما في هذا من خطر وإنذار موجه للإقطاعيين وأصحاب الطبقات العليا، وكذا عدم مشاركة المسيحيين للرومان في احتفالاتهم ومناسباتهم، بل النظر إليهم بعين الشماته حينما يحل بهم وبإمبراطورهم مكروه، وكذا أتباعها رفضوا الخدمة العسكرية في الجيش الروماني، واعتقاد الرومان بأنَّ الكنيسة النصرانية عبارة عن دولة في دولتهم وأنها تهدد أمنهم القومي، كل ذلك كوّن عداوة من قبل الرومان للديانة الجديدة، ومما لا شك فيه كان لليهود دور كبير في تأجيج نار الفتنة بين الرومان والمسيحيين(٥).

كل ذلك دفع لاضطهاد المسيحيين، فكان وقوع ما يعرف في التاريخ المسيحي بعهود الاضطهاد، وقد كان الاضطهاد الواقع على المسيحيين فوق ما يتخيله عقل، ويتصوره إنسان، فكان القتل وسفك الدم بوحشية وهمجية ليس لها مثيل ونظير، وقد مرّ على المسيحيين في مصر والشام وغيرها بعد رفع المسيح عدة عهود من الاضطهاد والقمع والجبروت:

أولها: كان في عهد نيرون سنة (٦٤ م).

وثانيها: في عهد تراجان سنة (١٠٦م).

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ١، الفقرات ١٤-١٦.
(٢) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ١٢، الفقرة ١٣.
(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح ٣، الفقرة ٢٨.
(٤) انظر: اليهودية لأحمد شلبي (ص ١٩٨-١٩٩).
(٥) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (١٢ / ١٠١-١٠٢ ، ١٨١-١٨٤)، والمسيحية نشأتها وتطورها لشارل جينيبير (ص ١٦٥-١٦٩)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ٨١-٨٢)، ودعوة التوحيد في المسيحية قبل الإسلام لعرفة سيف الدين (١ / ٣٠٠-٣٠٤)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنية (ص٨٣-٨٧).

وثالثها: في عهد ديسيوس سنة (٢٤٩-٢٥١ م).

ورابعها: في عهد دقلديانوس سنة (٢٨٤- ٣٠٥م).

ففي عهد نيرون المعروف بالطاغية اتهم المسيحيون بحرق رومية، فتفنن نيرون بتعذيبهم، حيث أدخل بعضهم في جلود حيوانات، وقدمهم للوحوش الضارية، وألبس بعضهم ثياباً مطلية بالقار أو ما يعرف بالقطران، وجعلهم مشاعل ومصابيح يستضاء بها ليلاً.

وفي عهد تراجان، تعقب المسيحين في بيوتهم، وأماكن تعبدهم واجتماعاتهم، ومنعهم من آداء طقوسهم وشعائرهم، وحرّق كتبهم، ومن ثبت عنده أنه نصراني أمر بإعدامه، ومن شك في تنصره أمر بتجريبه واختباره بسب المسيح وانتقاصه، وتقديم القرابين والطاعات لآلهة الرومان الوثنية.

وفي عهد ديسيوس فعل ما فعله تراجان من تعقب المسيحين واختبارهم وقتلهم بسبب ديانتهم، أو سجنهم وتعذيبهم.

وفي عهد دقلديانوس، فعل ما لم يفعله سابقوه، حيث قتل وسفك دم مائة وأربعين ألف قتيل وقيل ثلاثمائة ألف من المسيحيين، كما يذكره مؤرخو النصارى، ولعظم ما فعله دقلديانوس بالنصارى جعل الأقباط مبدأ تقويمهم سنة تولي هذا الإمبراطور الحكم، وسمي عهده عهد الشهداء[١].

واستمر حال التعذيب والاضطهاد على النصارى إلى أنْ جاء عهد الإمبراطور قسطنطين الذي غيَّر وأثر في النصرانية أيما تأثير، فقد أصدر مرسوم ميلان الشهير سنة (٣١٣ م) الذي ينص على حرية الأديان والتسامح مع بقية الشعوب، ولا سيما المسيحيين، وقد دخل النصرانية بعدها بعشر سنوات، وجعلها الدين الرسمي لدولته، وعقد مجمع نيقية الشهير سنة (٣٢٥ م)، الذي تضمن العديد من القررات التي كان لها الأثر الكبير في العقيدة المسيحية وتاريخها[٢].

والذي يهمنا هنا أنَّ لهذه الاضطهادات أثر كبير على نشأة الرهبانية في الديانة المسيحية، ولعلنا يمكن أنْ نقول: إن أثر الاضظهادات في نشأة الرهبانية في المسيحية من جهتين، أو بتعبير آخر للأثر فلسفتان:

---

(١) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (١٢/١٨٤-١٩٦)، والمسيحية نشأتها وتطورها لشارل جينيبير (ص١٧٠-١٧١)، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص٣٦ -٤٠)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص٨٢-٨٥)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٤-٥)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنية (ص٨٧-٩٣)، والموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٥٦٧-٥٦٨).

(٢) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (١٢ / ١٩٩)، والمسيحية نشأتها وتطورها لشارل جينيبير (ص ١٧٢-١٧٣)، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص ٤٠، ١٥٢)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ٨٣)، وأضواء على المسيحية لمتولي شلبي (ص ٢٤-٢٧)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٥-٦)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ١٥٤-١٦٠، ٢٣٠-٢٣١)، والموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٥٦٨).

أولاهما: أنه لما كثرت الاضطهادات واستشرى القتل في حق تلاميذ المسيح وأتباعه ومن جاء بعدهم، لجأ العديد منهم للصحاري والقفار والكهوف فراراً من القتل وسفك الدم ونجاة بدينهم، فأخذوا يتعبدون الله بما في أيديهم من تعاليم بسيطة وقليلة، وهؤلاء بعض من أشرنا إليهم في المرحلة الأولى من مراحل ظهور الرهبانية[١].

ثانيهما: أنه لما بدأ عهد الاضطهاد يخف وينقشع شيئاً فشيئاً وبدأ ظهور عصر الحرية، تحسّر أولئك الذين فاتهم أنْ يضحوا بدمائهم وأنْ يلجأوا للكهوف والجبال، فقرر هؤلاء أنْ يضحوا بمتعهم وأموالهم وملذاتهم فلجأوا للتفرد في الجبال والكهوف والمغارات، وفضّلوا الابتعاد عن الدنيا ومتعها، وضجيج الحياة، كما فضلوا التبتل وعدم الزواج، والعكوف على العبادة تقديراً للمسيح الذي بذل نفسه من أجل البشر كما يعتقدون، وأتباعه من بعده الذين قتلوا وعذبوا، ولمن فرّ بنفسه للكهوف والجبال من الرعيل الأول من المسيحيين[٢].

وأختم هذا السبب بأنْ أقول: إنه ليس الرهبانية فقط هي من مخلفات وآثار هذا السبب وهذا الاضطهاد، فهناك آثار أخرى؛ كضياع الإنجيل، وانقطاع سنده، وانحراف المعتقد، وظهور التثليث، والقضاء على حواريي المسيح وأتباعه، وارتداد بعض المسيحيين للوثنية، ومن ثم نقصان العلم وتفشي الجهل، وانتشار البدع والخرافات الممزوجة بثقافات وعقائد الآخرين من الأمم الأخرى؛ فكان النصارى من الضالين، الذين غلوا في عبادة الله، وابتدعوا في دينهم، وعبدوا الله بجهل وهوى، وقلة علم وفقه وبصيرة[٣].

ثانياً: عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة:

يعتقد النصارى أنَّ معصية آدم عليه السلام بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها الواردة في سفر التكوين[٤] بإيعاز من حواء زوجته، توارثها بنوه من بعده إلى أنْ جاء الفادي المخلص ابن الله يسوع المسيح؛ فخلّص الناس من إثم أبي البشر آدم عليه السلام[٥]، كما جاء في أسفار العهد الجديد، فقد جاء في إنجيل يوحنا عن المسيح عليه السلام:" لأنه هكذا أحب الله العالم؛ حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ لأنه لم يرسل الله ابنه إلى

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ٢٤٤)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ١٤٦)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنية (ص ٣٤٤)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٥، ١٣-١٤).

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ٢٤٤)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ١٤٦-١٤٧).

(٣) انظر: إظهار الحق لرحمت الله الهندي (١ / ١١١)، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص ٤٠)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ٨٣)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ١٤٦)، والأسفار المقدسة لصابر طعيمة (ص ٢٤٣-٢٤٤)، ودعوة التوحيد في المسيحية قبل الإسلام لعرفة سيف الدين (١ / ٣٢١-٣٢٩)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٢٢١)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنية (ص٣٤١-٣٤٧).

(٤) انظر: سفر التكوين، الإصحاح الثاني، والإصحاح الثالث.

(٥) انظر معتقد النصارى هذا في: مؤاخذة الإنسان بجرم غيره لسامي القليطي (ص٢٩٥-٣١٠) فقد تم مناقشة هذا المعتقد بالتفصيل في هذا البحث، وينظر لأقوال النصارى في ذلك كل من: قاموس الكتاب المقدس (ص٣-٤، ٦٧٢، ٨٦٩)، والعبادة المسيحية للارشمندريت إلياس (ص١٠، ٧٧-٧٨)، والكفارة في المفهوم المسيحي للقس يوسف رياض (ص٥-٦ ، ١٥-٢٤)، وحتمية الفداء للقمص زكريا بطرس (ص٢- ٨).

العالم ليدين العالم بل ليُخلِّص به العالم "[1]، وقال بولس في رسالته إلى أهل رومية: " من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز المــوت إلـــى جميع الناس إذ أخطأ الجميع "[2]، وقال أيضاً في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس:" المــسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب "[3].

فعقيدة الخلاص هذه وتوارث الذنب وما يترتب عليه من صلب وفــداء، انبثقــت منهــا عقائد كثيرة للنصارى، وقد ناقشت هذا المعتقد ضمن بحث مستقل ولله الحمد تحــت عنــوان: "مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند أهل الكتاب (عرض ومناقشة) "، والذي يهمنا هنا هــو أن هذه العقيدة أثرت في النصارى كثيراً؛ حيث إنه استقر في نفوسهم أنَّ طريق الخلاص لا يكون إلا بقتل نفس وتعذيبها، وهذا ما تحقق في شخص المسيح كما يعتقدون، وهم أتباعه ومريــدوه؛ فترهبهم وتعذيبهم لأنفسهم وتجويعها وتخليهم عن المتع كان من أسبابه هذه العقيدة الباطلة.

ومما جاء في غرس هذا المعتقد أعني بأن الخلاص لا يكون إلا بهلاك النفس وتعــذيبها ما جاء في إنجيل متى عن المسيح أنه قال:" فإنَّ من أراد أنْ يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلــك نفسه من أجلي يجدها؛ لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو مــاذا يعطــي الإنسان فداء عن نفسه "[4].

وفي إنجيل لوقا جاء عن المسيح أيضاً أنه قال:" من طلب أنْ يخلص نفسه يهلكها، ومن أهلكها يحييها "[5].

ولما كانت المرأة عندهم هي سبب الغواية، وهي من أوعز لآدم الأكل مــن الــشجرة، أصبحت عند بعض المسيحيين أصلاً من أصول الشر ومنبع الخطيئة الأولى، فــلا راحــة ولا سعادة إلا بالحذر منها، بل التخلص من الرغبة فيها، واحتقار جسدها، وإنكار الميــول إليهــا، وقتل الرغبات الفطرية والطبيعية تجاهها وتجاه متع الدنيا، ولــن يكــون هــذا إلا بالترهــب، والفرار إلى الصحاري والقفار والأديرة والصوامع والاعتزال فيها، وهذا ما حصل مع منــشئ الرهبانية القديس أنطونيوس حينما شاهد امرأة عارية متكشفة أمامه، ففرّ منها ومن بني جنسها جميعهم إلى الصحاري والقفار زهداً وتبتلاً وتركاً للدنيا ورخارفها وجميع ملــذاتها، وتجويــع النفس والجدس وتعذيبهما كما تحكي كتب النصارى[6].

(١) إنجيل يوحنا، الإصحاح ٣، الفقرات ١٦-١٧.
(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٥ ، الفقرات ١٢ – ١٣.
(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ١٥، الفقرة ٣.
(٤) إنجيل متى، الإصحاح ١٦، الفقرتان ٢٥-٢٦ .
(٥) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٧، الفقرة ٣٣.
(٦) انظر: دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص١٦)، وبدعة الرهبنة للشماس حنين عبد المسيح (ص ١٣).

ومن آثار عقيدة الخطيئة الأصلية أيضاً أنها ولّدت الشعور المستمر في نفوس بعض المسيحيين من العباد والجهلة القنوط من رحمة الله، واليأس والإحباط، فلا يكاد أحدهم يتلذذ بالدنيا ويتنعم بها وبطيباتها أو يعصي الله حتى يصيبه القنوط والإحباط، فيقوم بجلد وعقاب نفسه بتجويعها والبعد عن الدنيا، واللجوء إلى الأديرة والصوامع للرهبنة والعزلة والمكوث والعيش بين جنباتها.

ثالثاً: ردة فعل غير منضبطة على مادية اليهود والرومان وانغماسهم في الدنيا وزخرفها:

عُرف عن اليهود حبهم للدنيا وشغفهم بها، وتولعهم بما فيها من أموال وأنعام، ولا يردعهم في البحث والتنقيب والحصول عليها وعلى ما فيها من أموال دين ولا ناموس، حتى وصل بهم الحال لقسوة القلوب والبخل وأكل الحرام والتقول على الله وتحريف الكتاب المنزل عليهم، ومن ثم البعد عن شرع الله ونهجه(١).

ولقد أخبر الله تبارك وتعالى عنهم في القرآن الكريم في غير موضع أن هذه صفاتهم، التي اتصفوا وتحلوا بها، ومما ذكره الله تعالى في ذلك عنهم:

قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(٥).

ولما جاء المسيح عليه السلام أنكر هذه النزعة المادية الجشعة عند اليهود، وحثهم ووعظهم، وقد كانت ديانته امتداداً وتكميلاً لديانة موسى عليه السلام كما نص على ذلك الإنجيل حيث جاء فيه أنه قال:" لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمّل"(٦)، وبعد رفعه عليه السلام إلى السماء وإيمان الكثيرين به وبعظاته، ومع ردة فعل غير منضبطة بما كان يفعله اليهود من تطرف مادي، وكذا ما كان يصنعه الرومان في احتفالاتهم وحياتهم من بذخ

(١) انظر: اليهودية لأحمد شلبي (ص٢٠٥-٢٠٧)، ومن اليهودية إلى الصهيونية لأسعد السحمراني (ص١٣٠)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٨٩-٩٠ ، ١٠٠-١٠١).

(٢) سورة البقرة، الآية ٧٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ٩٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٧٤.

(٥) سورة النساء، الآية ٣٧.

(٦) إنجيل متى، الإصحاح ٥، الفقرة ١٧.

وإسراف وانغماس في الشهوات والملذات دون ضابط ورقيب ظهر تطرف آخر وردة فعل متناقضة مع الأولى؛ وهي البعد عن سبب تلك القسوة في القلوب، وذلكم الجشع والبخل والطمع عند اليهود، والانغماس في الشهوات عند الرومان؛ فاختار هؤلاء المنصدمون مسلكاً آخراً، وهو طريق التعبد والترهب في الصحاري والقفار والأديرة، والبعد عن الدنيا وملذاتها، وتعذيب النفس وتجويعها، فخرج هؤلاء وشذوا كما خرج أولئك وشذوا عن حدود ما أمرهم الله تعالى به، وما تمليه الفطر السليمة السوية، فنسبوا للمسيح ﷺ من الأقوال والمعتقدات ما لم يقله أو يحض عليه، ومن ذلك ما جاء في إنجيل مرقس:" فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه: ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله. فتحير التلاميذ من كلامه فأجاب يسوع أيضاً وقال لهم: يا بني ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله، مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله "(١)، وقول متى في إنجيله:" لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم، ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصاً "(٢).

وصدق الله القائل عنهم في القرآن الكريم وهو يدعو للوسطية والاعتدال ويحذر من الغلو والتطرف والتجاوز الذي وقع فيه أهل الكتاب: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾(٣).

والقائل: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٤).

رابعاً: قسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

عُرف المجتمع والعصر الروماني بالطبقية والتميز، فقد كان كثير من أتباع وأوائل المسيحية الذين يعيشون في ظل الرومان يعيشون حياة جوع وتشرد وشظف في العيش، إضافة لما لحقهم من تعذيب وإضطهاد وتشريد وقسوة(٥).

كل ذلك ولّد عند العديد من الناس من أصحاب الديانة الجديدة نزعة وإرادة الهروب من هذه الحياة إلى الجبال والكهوف والأديرة والصوامع؛ لعلهم هناك ينعمون ببعض العيش الذي

(١) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٠، الفقرات ٢٣-٢٥، وانظر : إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرتان ٢٣-٢٤.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح ١٠، الفقرتان ٩-١٠.

(٣) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٤) سورة المائدة، الآية ٧٧.

(٥) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٨١-٨٦)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٦).

يسد رمقهم، ولا سيما أنَّ هذه الصوامع والأديرة وجد من الأغنياء من أصبح يصرف عليها وعلى من يسكنها[١].

كما ولّد ذلك فساداً في المجتمع أيضاً من ناحية كثرة اللصوص والسراق، والذي جعل المتعبدين والرهبان والنساك يتجمعون في مكان واحد خوفاً على أنفسهم وحفاظاً على أرواحهم[٢].

قال ول ديورانت:" وكان الكثيرون من الناس يرون في الرهبنة ملاذاً من الفوضى والحرب اللذين أعقبا غارات المتبربرين؛ فلم يكن في الدير ولا في الصومعة الصحراوية ضرائب، أو خدمة عسكرية، أو منازعات حربية، أو كدح ممل. ولم يكن يطلب إلى الراهب ما يطلب إلى القسيس من مراسم قبل رسامته، وكان يوقن أنه سوف يحظى بالسعادة الأبدية بعد سنين قليلة من حياة السلام.

ويكاد مناخ مصر أنْ يغري الناس بحياة الأديرة، ولهذا غصت بالرهبان النساك الفرادى والمجتمعين في الأديرة يعيشون في عزلة كما كان يعيش أنطونيوس، أو جماعات كما كان يعيش باخوم في تابن Tabenne. وأنشأت الأديرة للرجال والنساء على طول ضفتي النيل، وكان بعضها يحتوي نحو ثلاثمائة من الرهبان والراهبات "[٣].

قال الدكتور حكيم أمين:" أصبحت الضرائب عبئاً ثقيلاً، زاده ثقلاً قسوة جامعيها الذين كانوا يختارون من وجهاء المدن أو المناطق الأخرى بالإمبراطورية ... حتى أنَّ عدداً كبيراً من صغار المزارعين تنازلوا عن أرضهم لكبار الملاك من الأجانب، وفضلوا ترك بيوتهم وأراضيهم وأولادهم ليحيوا حياة اللصوص، أو ليتركوا العالم بما فيه إلى حياة رهبانية توفر لهم الأمن رغم ما فيها من عيش على الكفاف "[٤].

ومن الأوضاع الاجتماعية التي ساعدت على الرهبنة والفرار للأديرة ما كان يفعله الرومان من وجوب الخدمة العسكرية على جميع الشباب من جميع القوميات والأديان[٥].

قال ول يدورانت عن الشباب الذين يعيشون تحت حكم الإمبراطورية الرومانية:" كان آلاف من أبنائها يدخلون الأديرة فراراً من الخدمة العسكرية "[٦].

---

(١) انظر: دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٦).

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٥)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ٢٩٩)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٢٢-٢٦).

(٣) قصة الحضارة (١٣ / ١٣٧-١٣٨).

(٤) دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية (ص ٦).

(٥) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (٤٢٩/١٤)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٦).

(٦) قصة الحضارة (١٤ / ٤٢٩).

ومن الأوضاع الاجتماعية أيضاً في ظهور الرهبانية قلة فرص العمل بسبب الكثافة السكانية الكبيرة الذي سبب نزوح العديد من الناس للبراري والصحاري ودور الرهبنة، لينعموا بما تناله من صدقات وعطايا.

يقول جون لوريمر: " ندرة فرص العمل في الأماكن المأهولة بالسكان شجعت على أن يجربوا حياة الرهبنة في الصحراء وفي الجبال "(١).

ومن الأوضاع الاجتماعية التي سببت نزوح العديد من أتباع المسيحية إلى الأديرة والترهبن فيها أيضاً، الصراع والنزاع بين قساوسة الكنيسة أنفسهم من الآريوسيين والاثناسيوسيين في قضايا عقدية داخل الكنيسة النصرانية، الذي جعل العديد من الناس يعتقدون قرب نهاية العالم، مما دعاهم للهروب للرهبنة في الصوامع والأديرة(٢).

ومن الأوضاع الاجتماعية التي سببت في الاندفاع للرهبانية أيضاً ما حدث من الإمبراطور قسطنطين بعد دخلوه للنصرانية، حيث أعفى الرهبان من الخدمة العسكرية التي كانت مفروضة على الجميع، كما أعفى العزاب الذين لم يتزوجوا من الضرائب، وأعفى كل من ليس له ولد منها أيضاً، وهذا الصنيع أغرى الكثيرين إلى الامتناع عن الزواج الشرعي والذهاب إلى الأديرة كي ينالوا هذه الامتيازات، وينعموا بالحياة الروحية الهادئة البعيدة عن الأزمات الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية القاسية(٣).

خامساً: التأثر بالحضارات والفلسفات والوثنيات القديمة:

أخبر الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم أنَّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى تأثروا بعقائد وأفكار الأمم السابقة قبلهم، وأنهم اتخذوا بعض عقائدهم ديناً يتبع، وأنَّ من سوّق ودعا وشرّع لتلك العقائد والأفكار الدخيلة عليهم بعض علمائهم من الأحبار والرهبان، وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٥).

---

(١) تاريخ الكنيسة (٢ / ١٣٤).

(٢) انظر: دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ٦).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ٧).

(٤) سورة التوبة، الآيتان ٣٠ – ٣١ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٧٧ .

ومن تلك العقائد والطقوس الدخيلة على الديانة النصرانية كما أسلفنا الرهبانيـة، وهـذه البدعة الدخيلة جاءت للنصارى من ديانات وحضارات وفلسفات سابقة على الديانة النصرانية؛ فالمسيحية تأثرت ببعض طقوس تلك الحضارات فيما يتعلق بالرهبانية، فأخذت منها العديد مـن نظام الرهبنة، وجعلته ضمن شعائرها.

يقول الدكتور والباحث النصراني حكيم أمين:" لم تكن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي انفردت بالدعوة إلى المبادئ النسكية، ففي الديانات السابقة للمسيحية جماعات وطوائف كرّست نفسها لحياة انعزالية أو نسكية، على درجات متفاوته من القسوة البدنية؛ ولكل ذلك شواهد فـي كتابات الصين القديمة، والهند، وشعوب آسيا الغربية، وكذلك في الأدب المصري القديم "(١).

ثم لو نظرنا لبلاد الهند لوجدنا الرهبانية من ضـمن طقـوس أديـان الهنـد الكبـرى؛ كالهندوسة والبوذية والجينية.

يقول الدكتور أحمد شلبي عن الأخلاق عند الهنودسـيين:" إن أغلـى مـا يطمـع فيـه البرهمي، هو الانطلاق والاندماج في برهما كما قلنا، ودستور العقل الهندي للوصول إلى هـذه الغاية كان دائماً الزيادة المفرطة بالصوم وأرق الليل وتعذيب النفس، كما كان بأن يعيش أسـير الحرمان، ويحمِّل نفسه ألوان البلاء، وبأن يبدوا دائماً كثير الهم والخوف والتـشاؤم ... ومـن أجل ذلك حفلت حياة كثير من الهنود بالبؤس، ومحاربة الملاذ، والسلبية، والتـسول، وتعـذيب النفس "(٢).

وقال أيضاً في معرض حديثه عن بعض تعاليم الفقه الهندوسي في الزهد:" على طالـب العلم أنْ يتجنب الحلوى، واللحوم، والروائح الطيبة، والنساء، وكذلك يجب عليه ألا يدلّك جسده بما له من رائحة طيبة، ولا يكتحل ... وعندما تدخل في الشيخوخة عليك بالتخلي عن الحيـاة الأهلية، وبالإقامة في الغابة ... وليكن طعامك مما تنبته الأرض، وتثمره الأشجار ... وعليـك بالصوم، تصوم يوماً وتفطر يوماً، وإياك واللحم والخمر ... لا تفكر في الراحة البدنية، اجتنب سائر الملذات، لا تقترب من زوجتك، نم على الأرض، ولا تأنس بالمكان الذي أنت فيه "(٣).

وقال أيضاً حول تأثر المسيحية برهبانية ديانات الهند:" الباحث في مقارنة الأديان يجـد أنَّ المسيحيين في تصرفاتهم هذه اتبعوا المنهاج الهندي دون تحريف، فالترهب والتبتل وتعذيب الجسم هي سياسة الهندوسية والبوذية التي وصفناها بوضوح في كتابنا (أديان الهند) "(٤).

(١) دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية (ص ٣).
(٢) أديان الهند الكبرى (ص ٧٣).
(٣) أديان الهند الكبرى (ص ٧٤-٧٥).
(٤) المسيحية (ص ٢٤٦)، وانظر ما ذكرناه قبل هذا النص من كلامه في أديان الهند الكبرى، وانظر أيضاً: (ص٧٣-٧٦ ، ١١٤-١١٨، ١٦٦-١٧٠) من أديان الهند الكبرى.

ويقول أيضاً:" المسيحية استعارت كثيراً من معتقداتها وشعائرها من البوذية؛ فالتثليث، والأقانيم، وقصة الصلب للتكفير عن خطئية البشر، والزهد، والتخلص من المال للدخول في ملكوت السماوات، والرهبانية؛ كلها مستعارة من البوذية التي سبقت المسيحية بعدة قرون "(١).

ويقول ول ديوانت:" أصبحت الكنيسة منظمة تحكم الملايين من بني الإنسان، ولم تعد كما كانت جماعة من المتعبدين الخاشعين، أخذت تنظر إلى الإنسان وما فيه من ضعف نظرة أكثر عطفاً من نظرتها السابقة، ولا ترى ضيراً من أنْ يستمتع الناس بملاذ الحياة الدنيا، وأنْ تشاركهم أحياناً في هذا الاستمتاع. غير أنَّ أقلية من المسيحيين كانت ترى في النزول إلى هذا الدرك خيانة للمسيح، واعتزمت أنْ تجد مكانها في السماء عن طريق الفقر، والعفة، والصلاة، فاعتزلت العالم اعتزالاً تاماً. ولربما كان مبشرو أشوكا Ashoka (حوالي ٢٥٠ ق.م) قد جاؤوا إليه بنظرية بوذية وقوانينها الأخلاقية؛ ولربما كان النساك الذين وجدوا في العالم قبل المسيحية أمثال سرابيس Serapis في مصر أو جماعات الإسينيين في بلاد اليهود قد نقلوا إلى أنطونيوس وباخوم المثل العليا للحياة الدينية الصارمة وأساليب هذه الحياة "(٢).

وقد أشار إلى تأثر النصارى بالبوذية المنتشرة في الهند والصين وتايلند واليابان في قولهم بالرهبانية صاحب كتاب " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " الشيخ محمد بن طاهر التنير البيروتي، وذلك في أثناء عقده مقارنة بين ما يعتقده البوذية من عقائد وبين ما يعتقده النصارى من عقائد، فقد ذكر في النقطة الرابع والأربعين من نقاط التشابه الثماني والأربعين: أنَّ عند البوذية: "الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط، ويرى الحياة الزوجية كأتون نار متأججة، ومن لم يقدر العيش على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنى "، ويضيف أما عند المسيحية: " فحسن للرجل أن لا يمس امرأة، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا؛ أن التزوج أصلح من التحرق "(٣).

وجاء في الموسوعة الميسرة عن الجينية:" الجينية حركة عقلية متحررة مطبوعة بطابع الذهن الهندوسي العام، فمنشؤها الزهد والتقشف، وطريقتها الرياضة الشاقة، ومظهرها الرهبانية "(٤).

وجاء فيها أيضاً فيما يتعلق بتأثر النصارى بها:" يعتقد بأن النصرانية قد أخذت عن الجينية فكرة الصيام عن كل ما فيه حياة "(٥).

---

(١) المسيحية (ص ١٧٨).

(٢) قصة الحضارة (١٣ / ١٣٧).

(٣) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (ص٢١٦)، وينظر للفائدة كامل المقارنة تحت عنوان: الفصل الثالث: مقابلة النص الصريح بين ما يقوله الهنود الوثنيون عن بوذا بما يقوله النصارى عن يسوع المسيح (ص٢٠١-٢١٨).

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٧٤٧).

(٥) الموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٧٤٦).وينظر في الحديث عن الرهبانية في الديانات السابقة للمسيحية أيضاً: الموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٥٦٨)، والموسوعة العالمية، مصطلح الرهبانية، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ٣-٤، ٨-١٣).

ويذكر جنيبير أنَّ الديانة المسيحية تأثرت بالعديد من الفلسفات والديانات في الشرق والغرب، حيث يقول:" المسيحية إذن: ديانة أنشئت على أساس يهودي، من عناصر متباينة كثيراً، وإنْ جمع بين أشتاتها على حد سواء الأصل الشرقي: عناصر يونانية، في جوانب كثيرة منها، ولكنها أيضاً عناصر من آسيا الصغرى وسوريا وما بين النهرين ومصر "(١).

ثم يقول عن تأثر المسيحية بالمانوية التي ظهرت تحت ظل الدولة الرومانية:" كانت للمانوية على تطور الرهبنة المسيحية آثار عميقة بكل تأكيد، وإنْ كان يصعب علينا اليوم تحديد مداها "(٢).

ثم يردف جنيبير بعدها قائلاً:" وعلينا أنْ نشير هنا من ناحية أخرى إلى أنَّ المسيحية لم تقضي على الأفلاطونية الجديدة وعلى المانوية تمام القضاء، بعد أنْ حلت محلهما خلال القرن الرابع، وتشربت بهما جزئياً في عقيدتها بالنسبة إلى الأولى، وفي مفهومها الجمالي وتنظيمها بالنسبة إلى الثانية "(٣).

ويذكر آخروان أنَّ بدعة الرهبانية جاءت للمسيحية من ديانة الرومان " فستا " التي ظهرت قبل المسيحية بألف عام تقريباً؛ حيث كانت الأميرة " رياسلفيا " والدة " رملس " الذي يعتبره الرومان إلهاً لهم نذرت العفة، وانخرطت في سلك العذارى والمترهبنات في هيكل "فستا " الإله عندهم للتعبد والتنسك والترهبن(٤).

والمسيحية أيضاً تأثرت بنظام الرهبانية الموجود في مصر القديمة قبل ظهور المسيحية، ولا سيما أنَّ نظام الرهبنة أول ما نشأ تأسس وبرز وابتدع في مصر من قبل أقباطها كما ذكرت سالفاً.

يقول الدكتور والباحث النصراني حكيم أمين:" لا نستطيع أنْ ننكر أنَّ مؤثرات نسكية مختلفة برزت كصور واضحة للفلسفات الدينية المحتلفة من وجهة النظر الصوفية، ولا شك أنَّ هذه الصور خلقت استعدادات نفسية أو ميولاً نحو الحياة النسكية بين معتنقي الديانة الجديدة، وهي الديانة المسيحية، ففي تاريخ الديانة المصرية القديمة ما يشير إلى الميول النسكية في وضوح، مثال ذلك ما يفتح به الفصل الرابع والستون من كتاب الموتى، ونصه: (هذا الفصل [سيقرؤه](٥) رجل نظيف طاهر، لم يأكل لحم الحيوان أو السمك، ولم يخالط النساء) ... وفي طقوس إيزيس وأوزوريس جرى الكهنة على أنْ ينذروا لآلهتهم أصواماً محتلفة، كما

(١) المسيحية نشأتها وتطورها (ص ٢٠٥).
(٢) المرجع السابق (ص ٢٠١).
(٣) المسيحية نشأتها وتطورها (ص ٢٠٣).
(٤) انظر: تحريف رسالة المسيح لبسمة جستنيه (ص ٣٨٠).
(٥) في أصل كتاب الدكتور حكيم " سيقرأه " ولعل ما أثبته بين معقوفتين الصواب.

امتنعوا عن شرب الخمر، وأكل لحوم الحيوان والسمك ... على أنه ليس معنى هذا كله أنَّ الرهبنة تأثرت بمثل هذه الاتجاهات أو الميول النسكية في صورة جعلتها تقليداً لها، ولكن لعل الصحيح أنَّ مثل هذه الميول عند معتنقي الديانة المسيحية بالإضافة إلى العوامل السابق ذكرها جعلت قيام الرهبنة أمراً سهلاً "(١).

وأما عن كيفية دخول مثل هذه البدعة من الفلسفات الأخرى للديانة المسيحية وتأثرها بها، فقد ذكر عدد من العلماء والباحثين أنَّ لبولس دور كبير في ذلك، وذلك من خلال تحريفاته لنصوص الأناجيل وما تضمنته رسائله الأربعة عشر من الدعوة للتبتل والتنسك بصورة تخالف ما تحتاج إليه الفطر السوية، كما سيأتي بيان ذلك في السبب القادم بإذن الله(٢).

ولا يخفى علينا من هو بولس؛ فهو شاوول اليهودي الذي أدخل على النصرانية بعد أنْ ادعى الدخول فيها تحريفات كثيرة جداً، غيرت مسار النصرانية بالكلية، حتى أصبحت بوليسية بعد أنْ كانت عيسوية؛ كالتثليث، وبنوة المسيح، والصلب والفداء، وجلوس المسيح عن يمين أبيه ليحكم ويدين البشرية، وجعل النصرانية عالمية بعد أنْ كانت خاصة، وتغيير العديد من الأحكام؛ كالختان، وتحليل أكل الخنزير، وشرب الخمر، وغيره، وإضافة العديد من الاعتقادات والبدع؛ كالرهبانية، والعشاء الرباني؛ المعروف بالأفخرستيا، والتعميد، وتفضيل التبتل على الزواج، وتحريم الطلاق، فهو منشئ ومؤسس المسيحية التي نشاهدها اليوم؛ حيث يقول جنيبير عنه:" نستطيع وصف بولس بأنه كان منشئ المستقبل "(٣)، أي مستقبل المسيحية، ويعبر المؤرخ ويليز بتعبير آخر فيقول عنه هو: "المؤسس الحقيقي للمسيحية "(٤)، وذكر ذلك الكثير من المؤرخين والباحثين(٥).

سادساً: نصوص وتعاليم العهد الجديد الداعية للزهد والتبتل:

نجد العديد من نصوص العهد الجديد دعت إلى ما يسمى بالحركة الزهدية، بما فيها من احتقار للمال والعتاد والدنيا وملذاتها، وكل ما يشغل عن العبادة والتنسك، ونجدها تدعو إلى تحبيذ الفقر الإرادي، وحياة التقشف والعزوبية، بل نجد بعضها دعا بكل وضوح وصراحة إلى

---

(١) دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ٨).

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٩ / ٤٧)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ١٠٢)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنيه (ص ٢٠٦-٢٠٩).

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها (ص ٨٤).

(٤) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١١١).

(٥) انظر في الكلام عن بولس وتحريفاته: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير (ص ٦٧-١١٦)، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص ٨٥ – ٩١)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١١١ – ١٣٠ ، ١٤٦ – ١٤٧، ١٦١)، وانزعوا قناع بولس عن وجه المسيح لأحمد زكي (ص٧٢-٧٦)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ٢٧-٣٠)، ومسيحيون أم بولسيون؟ لمحمد عفيفي (ص٨-١٥)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص٢٢٢- ٢٣٠)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنيه (ص ١٣١ – ٢١١)، ومؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند أهل الكتاب لسامي القليطي (٣١٧-٣٢٠).

إنكار الذات، وإماتة الشهوات الجسدية، وتغليب النواحي الروحية، وتـرك متـع الـدنيا بـل نبذها(١).

ومن تلك النصوص التي جعلت بعض النصارى يغلو ويتطرف للترهب والهجرة للقفار والصحاري، والكهوف، والأديرة والصوامع، ما يلي:

جاء في إنجيل متى فيما ينسبونه للمسيح ﷺ أنه قـال لأتباعـه:" إنْ أردت أن تكـون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء؛ فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني. فلما سـمع الشاب الكلمة مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة. فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم إنـه يعسر أنْ يدخل غني إلى ملكوت السماوات. وأقول لكم أيضاً: إنَّ مرور جمل من ثقـب إبـرة أيسر من أنْ يدخل غني إلى ملكوت الله. فلما سمع تلاميذه بهتوا جداً قائلين: إذاً مـن يـستطيع أنْ يخلص. فنظر إليهم يسوع وقال لهم: هذا عند الناس غير مستطاع؛ ولكن عند الله كل شيء مستطاع. فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكـون لنـا. فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الانـسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسـرائيل الاثنـي عشر. وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً او أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقـولاً مـن أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية. ولكن كثيـرون أولـون يكونـون آخـرين وآخرون أولين "(٢).

وجاء في إنجيل متى أيضاً فيما ينسب للمسيح ﷺ أنه قال:" لا تقتنوا ذهبـاً ولا فـضة ولا نحاساً في مناطقكم، ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصاً "(٣).

وجاء في إنجيل متى أيضاً أنَّ المسيح ﷺ قال:" للثعالب أوجِرَةٌ ولطيور السماء أوكـار وأما ابن الإنسان فليس له أين يُسندُ رأسَه "(٤).

وجاء في إنجيل متى أيضاً أنَّ المسيح قال لتلاميذه:" إنْ أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه و يتبعني"(٥).

وجاء في إنجيل لوقا فيما ينسبونه للمسيح ﷺ – وحاشاه ذلـك – أنـه قـال لأتباعـه يدعوهم لهجر الأبوين والناس والبعد عنهم واللحوق به بل بغضهم وكرههم!!:" إنْ كـان أحـد

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٥-٢٤٦)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ٣٠٠)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ١٠١-١٠٢)، ودراسات في تـاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ٨)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنيه (ص٢٠٦-٢٠٧).

(٢) إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرات ٢١-٣٠.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح ١٠، الفقرتان ٩-١٠.

(٤) إنجيل متى، الإصحاح ٨، الفقرة ٢٠.

(٥) إنجيل متى، الإصحاح ١٦، الفقرة ٢٤.

يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أنْ يكون لي تلميذاً "(١).

وجاء في إنجيل لوقا أيضاً:" فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أنْ يكون لي تلميذاً "(٢).

وما جاء من نصوص ذُكر فيها صعود المسيح عليه السلام للجبال وتعبده فيها، واجتماعه مع تلاميذه وأتباعه عليها مبلغهم ما يريد أنْ يبلغهم إياه؛ فقد جاء في إنجيل لوقا ما نصه:" وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله. ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً ... ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيدا؛ الذين جاؤوا ليسمعوه ويشفوا من أمراضهم"(٣).

وجاء في إنجيل لوقا أيضاً عن المسيح عليه السلام:" وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد إلى جبل ليصلي. وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضاً لامعاً. وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا "(٤).

وجاء في إنجيل مرقس:" وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وحدهم "(٥).

ثم إننا نجد مؤسس الرهبانية قد تأثر بمثل تلك النصوص مما ساعد في دعوته للرهبنة كما يذكر مؤرخو النصارى؛ حيث يقول الدكتور حكيم أمين:" وحدث أنْ ذهب أنطونيوس إلى الكنيسة، فسمع الكاهن يتلو فصل الإنجيل، فاجتذبته الآية القائلة: (إن أردت أن تكون كاملاً؛ فاذهب وبع كل مالك، وأعط الفقراء، وتعال اتبعني؛ فيكون لك كنز في السماء)(٦)، وتقول سيرته أنه اعتبر كأن هذه الفقرة قرئت له هو بالذات، لا نطباقها على حاله بعد وفاة والديه، ولم يبق له في الدنيا سوى أخته، فللحال خرج من الكنيسة، ووزع أرضه الواسعة المساحة على فقراء قريته، محتفظاً لنفسه بقليل من المال لمصلحة أخته، غير أنه دخل الكنيسة مرة أخرى، وسمع الكاهن يتلو مما في الإنجيل: (لا تهتمو للغد)(٧)، فخرج من الكنيسة عاقداً العزم على أنْ يسلك مسلكاً جديداً في حياته؛ فأرسل أخته إلى بيت للعذارى، ثم خرج من

(١) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٤، الفقرة ٢٦.
(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٤، الفقرة ٣٣.
(٣) إنجيل لوقا، الإصحاح ٦، الفقرات ١٢–١٧.
(٤) إنجيل لوقا، الإصحاح ٩، الفقرات ٢٨–٣٠.
(٥) إنجيل مرقس، الإصحاح ٩، الفقرة ٢.
(٦) إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرة ٢١.
(٧) إنجيل متى، الإصحاح ٦، الفقرة ٣٤.

القرية حوالي ٢٧٠ م إلى مكان قريب من قريته، حيث أقام في كوخ صغير إلى جوار شاطئ النيل، يدرب نفسه على حياة النسك "[١].

بل إننا نجد في رسائل بولس ما يدعو بكل وضوح للتبتل وترك الزواج والبعد عن الفطرة السوية السليمة، ولا يخفى علينا من هو بولس كما تقدم الحديث عنه في السبب السابق.

ومن أقوال بولس في رسائله التي يفهم منها الدعوة للرهبانية والبعد عن الدنيا، والحض على مخالفة الفطر السوية السليمة بترك الزاوج للرجال والنساء على حد سواء ما يلي:

جاء في رسالته للعبرانيين عن النساك والعباد:" طافوا في جلود غنم وجلود معز، معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض، فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان "[٢].

قال الدكتور محمد شامة عن نص بولس هذا:" دفعت هذه الكلمات كثيراً من المسيحيين إلى اللجوء إلى الأديرة، فأصبحت مصر مكاناً لمن ليس له وطن أو مكان يستقر فيه، وعنده شعور داخلى يدفعه إلى الزهد فى الحياة الدنيا "[٣].

وجاء عن بولس في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:" وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أنْ لا يمس امرأة "[٤].

وفيها أيضاً:" أريد أنْ يكون جميع الناس كما أنا؛ لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا. ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل: إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا"[٥].

وفيها أيضاً:" فأريد أنْ تكونوا بلا هم غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب. وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امراته. إنَّ بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها. هذا أقوله لخيركم ليس لكي ألقي عليكم وهقاً بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك. ولكن إنْ كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذرائه إذا تجاوزت الوقت، وهكذا لزم أنْ يصير؛ فليفعل ما يريد إنه لا يخطئ فليتزوجا. وأما من أقام راسخاً في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا في قلبه أنْ يحفظ عذراءه فحسناً يفعل. إذاً من زوج فحسناً يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن. المرأة مرتبطة بالناموس ما

(١) دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية (ص ١٨).

(٢) رسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح ١١، الفقرات ٣٧-٣٩.

(٣) موسوعة المفاهيم الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المصرية، مصطلح الرهبانية.

(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٧، الفقرة ١.

(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٧، الفقرتان ٧-٨.

دام رجلها حياً، ولكن إنْ مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط. ولكنها أكثر غبطة إنْ لبثت هكذا بحسب رأيي، وأظن أني أنا أيضاً عندي روح الله "(١).

والخلاصة أنَّ لبدعة الرهبانية أسباب عدة متنوعة أدت بمجموعها لظهور وتنمية وتطور الرهبانية؛ منها ما ينطلق من نصوص وكتب النصارى أنفسهم، بشقيها؛ أعني النصوص الداعية للزهد والعبادة، والنصوص التي يظهر فيها الغلو والتطرف والتحريف والتبديل والبعد عن هدي السماء، ومخالفة الفطر السليمة السوية، ومنها بسبب عوامل وأسباب أخرى كانت محيطة بهم؛ كاضطهاد اليهود والرومان للمسيح ﷺ وأتباع الديانة المسيحية، وعقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة، وردة الفعل غير المنضبطة على مادية اليهود والرومان وانغماسهم في الدنيا وزخرفها، وقسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية إبان ظهور الرهبانية، والتأثر بالحضارات والفلسفات والوثنيات القديمة.

المبحث الخامس: مبادئ وأسس نظام الرهبانية في المسيحية

إنَّ لنُظُم الرهبانية بصفة عامة في الحضارات والديانات والجماعات والفرق التي تبنتها وظهرت فيها مبادئ وأسس تنطلق منها، وإنَّ كثيراً منها مشترك ومتشابه في جوهره، ومختلف أحياناً في أساليبه ووسائله، وكل هذه النظم بما فيها من مبادئ وأسس تدور عند من يؤمن بها حول قضية مركزية واحدة؛ هي: إعادة صياغة جديدة للنفس الإنسانية بأي وسيلة من وسائل الزهد والتقشف كانت؛ لتغدو تلك النفس متنسكة متعبدة طائعة مطهرة سامية(٢).

ولما كانت المسيحية من تلك الديانات التي ظهرت وابتدعت فيها الرهبانية فإننا نجدها كغيرها من الديانات والحضارات اعتمدت في نظامها الرهباني على أسس ومبادئ عدة لا بد للراهب أن يلتزم بها ويتمثلها، وكان من أهم تلك المبادئ والأسس التي اشترطها نظام الرهبانية في المسيحية ما يلي:

أولاً: التبتل والعزوبة:

إنَّ من أهم الأسس والمبادئ والشروط التي ينطلق منها نظام الرهبانية في المسيحية هو ما يعرف بالتبتل أو البتولية أو العزوبة؛ أي عدم الزواج، بل منعه وتحريمه وتجريم من يقوم به من الرهبان والقساوسة رجالاً ونساءً(٣).

---

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٧، الفقرات ٣٢-٤٠.

(٢) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص٤٢)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص٢٧٣)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١١١).

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة للقرافي (ص١٣٢)، وتخجيل من حرّف التوراة والإنجيل لأبي البقاء الجعفري (٢ / ٦١٢)، وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب للترجمان (ص ٢٣٩)، وإظهار الحق لرحمت الله الهندي (٣ / ٨٤٧)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص١٢-١٤، ٣٥)، وموسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ /١٧، ٥٢)، وعلم اللاهوت بحسب معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية للقمص ميخائيل مينا (٢/٣٥٨-٣٦٠)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٦)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١٠٢، ١١٣)، والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص ١٩٣٤).

ويرجع النصارى سبب الدعوة للتبتل وتحريم الزواج كي لا ينشغل الراهب والقسيس بفكره وجسده عن العبادة والتفرغ لها كما يذكره بولس في رسائله(١).

ويذكر المؤرخ النصراني ول ديورانت أسباباً أخرى بالإضافة لما ذكره بولس؛ حيث يقول في قصة الحضارة:" وكانت الكنيسة من زمن بعيد تعارض زواج رجال الدين بحجة أنَّ القس المتزوج يضع ولاءه لزوجه وأبنائه في منزلة أعلى من إخلاصه للكنيسة سواء أدرك ذلك أو لم يدركه، وأنه سيميل من أجلهم إلى جمع المال أو المتاع، وأنه سيحاول أنْ ينقل كرسيه أو مرتبه لأحد أبنائه، وأنَّ هذا قد يؤدي إلى طبقة وراثية من رجال الدين في أوربا تشبه مثيلتها في بلاد الهند، وأنَّ ما يضيفه هذا السلطان الاقتصادي على القساوسة ذوي الأملاك يزيد في قوتهم إلى الحد الذي تعجز معه البابوية عن السيطرة عليهم. ويضاف إلى هذا أنَّ القس يجب أنْ يكرس حياته لله والكنيسة وبني الإنسان، وأنَّ مستواه الأخلاقي يجب أنْ يعلو على مستوى أخلاق الشعب، وأنْ يضفي عليه مستواه هذا المكانة التي لا بد منها لاكتساب ثقة الناس وإجلالهم إياه "(٢).

ويذكر الأنبا مارتيروس عن القديس أوريجانوس أنَّ رتبة البتوليين تأتي بعد رتبة الشهداء، وأنَّ البتولية تعتبر ذبيحة للجسد يقدمها الإنسان أمام الرب تقرباً له(٣).

ويذكر الأنبا مارتيروس أيضاً أنَّ القديس أثناسيوس؛ كاتب سيرة مؤسس الرهبانية أنطونيوس، يعتبر البتولية في مستوى الشهادة، وأنَّ القديس أنطونيوس الذي ترهب في صومعته يعتبر كل يوم من أيام تبتله شهيداً مجاهداً، ويلقب البتولية بألقاب متعددة، منها:"غنى الكنيسة"، و"الموهبة الإلهية"، ويلقب العذارى بـ "عرائس المسيح"(٤).

ويستشهد النصارى ببعض ما ورد في كتابهم المقدس عن إشعياء وعيسى عليه السلام، والقديس بولس في الحث على التبتل وتفضيل عدم عدم الزواج، وأنَّ من فعل ذلك يفعله من أجل الدخول في ملكوت الله(٥).

جاء في سفر إشعياء:" ولا يقل الخصي ها أنا شجرة يابسة؛ لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي، إني أعطيهم في بيتي و في أسواري نصباً واسما أفضل من البنين والبنات أعطيهم اسما أبدياً لا ينقطع "(٦).

---

(١) انظر: رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٧، وينظر أيضاً: علم اللاهوت بحسب معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية للقمص ميخائيل مينا (٣٥٨/٢-٣٦٠)، والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص ٢٤٢٣-٢٤٣٨).

(٢) قصة الحضارة (١٥ / ٢٠٣-٢٠٤).

(٣) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص ١٣).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ١٣-١٤).

(٥) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٦)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص١٢)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١٠٢).

(٦) سفر إشعيا، الإصحاح ٥٦، الفقرات ٣-٥.

جاء في إنجيل متى فيما ينسبونه للمسيح عليه السلام أنه قال في تفضيل التبتل:" يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أنْ يقبل فليقبل "(١).

وجاء في إنجيل متى عن المسيح عليه السلام أنه قال:" كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً او أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية"(٢).

وجاء في إنجيل لوقا:" ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله، إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية "(٣).

ونجد بولس – مؤسس النصرانية المحرفة الحقيقي – في رسائله يكثر من الدعوة للتبتل، ويذكر أنَّ من يفعل ذلك فسيكون مقدساً روحاً وجسداً، وأنه سيكون سعيداً فرحاً، فقد جاء عنه في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:" وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أنْ لا يمس امرأة"(٤).

وقوله أيضاً:" أقول لغير المتزوجين وللأرامل: إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا "(٥).

وقوله أيضاً:" غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب. وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امراته. إنَّ بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها "(٦).

وقوله أيضاً:" من زوج فحسناً يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن. المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً، ولكن إنْ مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط. ولكنها أكثر غبطة إنْ لبثت هكذا بحسب رأيي، وأظن أني أنا أيضاً عندي روح الله "(٧).

وجاء ضمن رؤيا يوحنا للمسيح عليه السلام في المنام كما يزعم النصارى عن البتوليين والمترهبين المائة وأربعة وأربعين ألفاً الذين عاصروا الاضطهادات أنه قيل في حقهم:" هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أطهار "(٨).

كما أننا نجد عدداً من المجمعات الكنسية النصرانية في اجتماعاتها، أصدرت قرارات بتحريم الزواج على الرهبان والقساوسة، ومن ذلك مجمع نيقية الشهير المنعقد سنة (٣٢٥م)

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرة ١٢.
(٢) إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرة ٢٩.
(٣) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٨، الفقرتان ٢٩-٣٠.
(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٧، الفقرة ١.
(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٧، الفقرة ٨.
(٦) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٧، الفقرات ٣٢-٣٤.
(٧) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٧، الفقرات ٣٨-٤٠.
(٨) رؤيا يوحنا، الإصحاح ١٤، الفقرة ٤.

فقد جاء من ضمن قراراته ما نصه:" زواج الكهنة: قرر المجمع ... الاحتفاظ ببتولية الأساقفة، وعدم زواج الكهنة المترملين "[١]، ومن ضمن قرارته أيضاً:" تمنع مساكنة النساء للأساقفة والكهنة والشمامسة؛ لأنهم نذور العزوبة، إننا نأمر بألا يسكن الأساقفة أو القسوس الأرامل مع النساء، وأنْ لا يرافقوهن، ولا أنْ يعاشروهن، ولا أنْ يكثروا من التحديق بهن "[٢]، ومن ذلك أيضاً مجمع بافيا المنعقد عام (١٠١٨م) فقد أصدر فيه قرار بمنع الزواج للقسيس والراهب، وفرض العبودية الدائمة عليه، وإنْ خالفوا فيعتبر أبناؤهم محرومون من الميراث، وأن زواجهم يمنعهم من الدخول في ملكوت الله[٣].

ونظام التبتل هذا جرّ على الكنيسة ونظام الرهبنة الكثير من الويلات والآثار سنشير إليها بإذن الله في المبحث القادم، ولكن أود أن أشير هنا لمسألة مهمة وهي أن ما جاء في النصوص التي ذكرتها هنا من الكتاب المقدس الداعية للتبتل والعزوبة تخالف العديد من النصوص في الكتاب المقدس نفسه والتي تدعو بكل وضوح وصراحة لأفضلية الزواج والارتباط وإنجاب الأولاد ورعايتهم، وهذا دليل على تناقض الكتاب المقدس وتحريفه.

ومن تلك النصوص الداعية للزواج والترغيب فيه: ما جاء في سفر التكوين فيما يتعلق بخلق الله للإنسان ذكراً وأنثى ما نصه:" وباركهم الله وقال لهم: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها"[٤].

وقول سفر التكوين أيضاً:" وقال الرب الإله: ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فاصنع له معيناً نظيره "[٥].

وما جاء أيضاً في رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس، فيما يجب على الأساقفة، وفيها: "فيجب أنْ يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة، صاحياً عاقلاً محتشماً مضيفاً للغرباء، صالحاً للتعليم، غير مدمن الخمر، ولا ضراب، ولا طامع بالربح القبيح؛ بل حليماً غير مخاصم ولا محب للمال، يدبر بيته حسناً له أولاد في الخضوع بكل وقار. وإنما إنْ كان أحد لا يعرف أنْ يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله "[٦].

وما جاء أيضاً في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس عن الزواج وكبح نار الشهوة:" التزوج أصلح من التحرق "[٧].

---

(١) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي المجامع الكنسية للأنبا يوأنس (ص ٣٥).
(٢) انظر: مجموعة الشرع الكنسي للأرشمندريت حنانيا إلياس كساب (ص ١٠١، ١٠٩-١١٢).
(٣) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (١٥ / ٢٠٣)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنيه (ص٢٠٧).
(٤) سفر التكوين، الإصحاح ١، الفقرة ٢٨.
(٥) سفر التكوين، الإصحاح ٢، الفقرة ١٨.
(٦) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس، الإصحاح ٣، الفقرات ٢-٥.
(٧) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٧، الفقرة ٩.

قال المعلم ميخائيل مشاقة عن زواج الرهبان:" الرسول علمنا أنَّ الزواج خير من التوقد بنار الشهوة، ومن المعلوم أنَّ الأكثرين من رسل المسيح كانوا ذوي نساء تجول معهم كما هــو واضح من كلام بولس الرسول "[١].

وأضيفُ على ما ذكره ميخائيل مشاقة:" من أنَّ رسل المسيح كانوا ذوي نــساء " شــيئاً أخر؛ وهو أنَّ الكثير من أنبياء الله ورسله المذكورين في كتاب النــصارى المقــدس تزوجــوا العديد من النساء، وكان لهم نسل كثير؛ فها هو خليل الله إبراهيم عليه السلام كمــا يحكــي قــاموس كتابهم المقدس تزوج بسارة وهاجر وقطورة، ويعقوب تزوج بأربع نساء؛ هن: لئيــة وراحيــل وبلها وزلفا، وداود عليه السلام تزوج ونكح العشرات كما يزعمون، وسليمان كان تحته ألف امــرأة، سبعمائة سلطانة، وثلاثمائة جارية، وجدعون أحد من يقولون بنبوته تزوج الكثير، وكان له من الأولاد السبعون ولداً[٢].

يقول الدكتور والباحث النصراني حنين عبد المسيح معلقاً علــى أســاس التبتــل فــي الرهبانية المسيحية:" هو أيضاً منافٍ تماماً لتعاليم الكتاب المقدس ... فالــذي وضــع شــريعة الزواج للإنسان هو الله بذاته، وباركه بإعطائه القدرة على التناسل عن طريق العلاقة الزوجيــة لذلك يطالبنا الكتاب المقدس بأن نكرم الزواج وننظر باعتبار إلى مــضجع الزوجيــة " لــيكن الزواج مكرماً عند كل واحد، والمضجع غير نجس " (عب ١٣:٤)[٣] هذه هي تعاليم المسيح والمسيحية المدونة في الكتاب المقدس، أما تعاليم بدعة الرهبنة فهي على العكــس مــن ذلــك تماماً"[٤].

ثانياً: الوحدة والانعزال:

تعدُّ الوحدة والانعزال والانزواء والانطواء عن الناس وحياة المدنية والمجتمع الطبيعــي والتجميز والفرار للصحاري والقفار والكهوف، أو الصوامع والأديرة من الأســس والمبــادئ المهمة التي يفرضها نظام الرهبانية على كل من انخرط فيه رجالاً كانوا أو نساء[٥].

ويهدف نظام الرهبنة من هذا المبدأ والأساس تحقيق أهداف عدة؛ منها كما يذكر الأنبــا مارتيروس: تركيز الإنسان في أفكاره ومشاعره ووجدانه نحو الله، فالراهب كما يــزعم يهــب بذلك كامل نفسه لله، وكذلك من أجل مغالبة الشر، والخلوة والأنس بالله[٦].

---

(١) البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية (ص ١٧)، وانظر أيضاً: رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٩، الفقرة ٥.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص ٩-١٠، ٢٥٣، ٣٦١-٣٦٦، ٤٨١-٤٨٣، ١٠٧٤-١٠٧٥).

(٣) أي: الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح ٤، الفقرة ١٣.

(٤) بدعة الرهبنة (ص ١٤).

(٥) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (١٧ / ٧٦)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٥-٢٤٦، ٢٧٢-٢٧٣)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص ٣، ٢٠، ٢٢)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص١٠)،وموسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ /٢٧-٥٢،٣٠)،والنصرانية لعرفان عبد الحميد(ص١٠٢-١٠٣، ١١٢).

(٦) انظر: الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم (ص ١٠).

ومنها البعد عن حياة المدنية وما فيها من ملذات وشهوات، والتفـرغ للعبـادة، وقطـع الصلة بين الراهب وبين مشاغل الحياة، وعوائق الصفا، لتطهير النفس والسمو بها للـدرجات العلى[(١)].

ويستشهد النصارى لهذا الأساس بما يذكرونه عن عيسى عليه السلام في كتابهم المقـدس أنـه كان يعتزل الناس وينزوي عنهم بصعوده للجبال، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك فـي المبحـث السابق عند الحديث عن نصوص الكتاب المقدس وتأثيرها في ظهور بدعة الرهبانية.

ومما يذكرونه عن عيسى عليه السلام في ذلك قول لوقا في إنجيله:" وفي تلك الأيام خرج إلـى الجبل ليصلي"[(٢)].

وقول لوقا أيضاً عن المسيح عليه السلام:" أخذ بطرس ويوحنا ويعقـوب وصـعد إلـى جبـل ليصلي"[(٣)].

وقول مرقس في إنجيله عن المسيح عليه السلام:" وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطـرس ويعقـوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وحدهم "[(٤)].

ويذكر الدكتور والباحث النصراني الشماس حنين عبد المـسيح أنَّ نـصوص الكتـاب المقدس تتعارض بل ترفض هذا الأساس الرهباني، ويصفه بالسقيم، مع ما في كلامه من سـقم أيضاً، وأخص بالذكر وصفه لعيسى عليه السلام بالرب، ونحن نذكره هنا من باب ضرب ودفع كـلام النصارى بعضهم ببعض، ثم ما يذكره الشماس حنين من نصوص هي أيـضاً تعـارض مـا ذكرته قبل قليل من نصوص يستشهد بها من جعل أنَّ للعزلة والانزواء أصـلاً فـي الكتـاب المقدس.

يقول الشماس حنين عن هذا الأساس والمبدأ:" هذا المبدأ الرهباني السقيم يخالف تعـاليم الرب يسوع المسيح على طول الخط، فالرب يسوع لم يدع أتباعه لاعتزال النـاس والهـروب من العالم؛ بل أنْ يندمجوا فيه، ليصلحوه، كما يصلح الملح الطعام حيـث قـال:" أنـتم ملـح الأرض" (مت٥:١٣)[(٥)]، ولكي يكونوا نوراً بين الأمم يرشدونهم إلى الحق وإلى معرفة الله"[(٦)].

ثم سرد الشماس حنين مجموعة من نصوص الكتاب المقـدس تخـالف مبـدأ العزلـة والانزواء هذا، ومما ذكره من نصوص ما يلي[(٧)]:

---

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٥، ٢٧٢-٢٧٣)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١٠٢-١٠٣).
(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح ٦، الفقرات ١٢-١٧.
(٣) إنجيل لوقا، الإصحاح ٩، الفقرات ٢٨-٣٠.
(٤) إنجيل مرقس، الإصحاح ٩، الفقرة ٢.
(٥) أي: إنجيل متى، الإصحاح ٥، الفقرة ١٣.
(٦) بدعة الرهبنة (ص ١٤).
(٧) انظر: بدعة الرهبنة (ص ١٣-١٤).

ما جاء في إنجيل متى فيما ينسب للمسيح عليه السلام أنه قال لأتباعه:" أنتم نور العالم... فليضئ نوركم هكذا قدام الناس؛ لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات"(١).

وما جاء في إنجيل يوحنا فيما ينسب للمسيح عليه السلام أنه قال مناجياً ربه:" لست أسأل أنْ تأخذهم من العالم بل أنْ تحفظهم من الشرير ... كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم"(٢).

وما جاء في إنجيل مرقس عن المسيح عليه السلام فيما يتعلق بوصيته الأخيرة لتلاميذه بأنْ لا يذهبوا من العالم بل إلى العالم:"وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها"(٣).

وما جاء في إنجيل متى في نفس الوصية عن المسيح عليه السلام أنه قال لتلاميذه:" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس. وعلموهم أنْ يحفظوا جميع ما أوصيتكم به"(٤).

ومن النصوص التي وردت في كتابهم المقدس وجاء فيها اختلاط المسيح وتلاميذه بالناس ومجالستهم وحضور أعراسهم ما جاء في إنجيل يوحنا عن المسيح:" وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك. ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس"(٥).

فهذه النصوص يتضح منها كما أسلفت تناقضها وعدم تناسقها مع هذا المبدأ والأساس من أسس نظام الرهبانية.

ثالثاً: التجرد الكامل عن الدنيا والزهد فيها:

بعد أنْ فرض النظام الرهباني على من انخرط فيه الوحدة والاعتزال أمرهم بمبدأ آخر من مبادئه وأسسه وهو الزهد والتقشف في المطعم والملبس، والهيئة، والمشية، ونسميه بتعبير آخر:" الفقر الإرداي"، أو:"الفقر الاختياري"؛ فأصبح من ترهب وانخرط في هذا النظام يتأسى بالقديس أنطونيوس مؤسس الرهبانية، حيث كان لا يأكل إلا الفتات من الطعام؛ كالخبز المملح الناشف الجاف مع الماء، ولا يلبس إلا خشن الثياب ورثها، ويبتعد أيضاً عن جميع ما في الدنيا من شهوات وملذات، مما سخره الله للبشر، ولم يمنعه عنهم، ولا يحق لهم امتلاك أي شيء من الدنيا(٦).

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح ٥، الفقرات ١٤-١٦.

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٧، الفقرات ١٥-١٨.

(٣) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٦، الفقرة ١٥.

(٤) إنجيل متى، الإصحاح ٢٨، الفقرتان ١٩-٢٠.

(٥) إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢، الفقرتان ١-٢.

(٦) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (١٣٧/١٣)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٧٨، ٢٤٤-٢٤٦، ٢٧٢)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١٠١-١٠٢، ١١٣)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٨)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص ١٠، ٢٥-٢٦، ٣٥)، وموسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ١٢، ٥٢)، وبدعة الرهبنة للشماس حنين عبد المسيح (ص١٣-١٤)، والموسوعة العربية العالمية، مصطلح الرهبانية ومصطلح اليسوعيون، وقانون الرهبنة الجديد، إصدار المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية برئاسة البابا تواضروس الثاني، الباب الثالث، الفصل السادس، تاريخ: ٢٠١٣/٦/٢٠م ، نشر جريدة الوطن المصرية، تاريخ: ٢٠١٣/٩/١٧م.

ولا يخفى أنَّ الكتاب المقدس عند النصارى حث على الزهد والتقشف والبعد عن الدنيا وزخرفها وملذاتها وشهواتها على صفة العموم، والحال على الرهبان الذين انخرطوا في نظام الرهبنة كان أشد وأعتى.

وقد مر معنا سابقاً بعض النصوص من الكتاب المقدس التي فيها حث على الزهد والتقشف والبعد عن الدنيا، وقد طبّق الرهبان بعض تعاليم تلك النصوص، وقد كان من تلك النصوص الداعية لذلك:

ما جاء في إنجيل متى فيما ينسب للمسيح عليه السلام أنه قال:" إنْ أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء؛ فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة. فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم إنه يعسر أنْ يدخل غني إلى ملكوت السماوات. وأقول لكم أيضاً: إنَّ مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أنْ يدخل غني إلى ملكوت الله... وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية"(١).

وما جاء في إنجيل متى أيضاً عن المسيح عليه السلام أنه قال:" لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم، ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصاً "(٢).

وما جاء في إنجيل لوقا عن المسيح أيضاً أنه قال:" فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أنْ يكون لي تلميذاً "(٣).

وما جاء عن بولس في رسالته للعبرانيين في أثناء حديثه عن النساك:" طافوا في جلود غنم وجلود معز، معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض، فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان "(٤).

وهذه النصوص تتعارض مع نصوص أخرى من كتاب النصارى المقدس، الداعية للتمتع بالحياة وملذاتها المباحة، وهذا من التناقض والتحريف الذي نجده في كتاب النصارى المقدس، وقد ذكر الدكتور الشماس حنين عبد المسيح أنَّ هذا المبدأ يتعارض مع تعاليم الكتاب المقدس نفسه؛ حيث يقول:" يدين الكتاب المقدس تعاليم الرهبنة هذه بشدة ويعتبرها تعاليم شياطين "(٥).

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرات ٢١-٢٩.
(٢) إنجيل متى، الإصحاح ١٠، الفقرتان ٩-١٠.
(٣) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٤، الفقرة ٣٣.
(٤) رسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح ١١، الفقرات ٣٧-٣٩.
(٥) بدعة الرهبنة (ص ١٤).

ثم ذكر بعض نصوص الكتاب المقدس التي تتعارض مع هذا المفهوم، وهي في نفس الوقت كما أسلفت تتناقض مع النصوص الداعيىة لترك الدنيا ومتاعها وزينتها ومباحاتها واللحوق بركب الزهاد للوصول لملكوت الله، سواء المنسوبة للمسيح عليه السلام أو المنسوبة لبولس، ومما ذكره الشماس حنين من نصوص[١]:

ما جاء في في رسالة بولس الأولى لأهل تيموثاوس:" ولكن الروح يقول صريحاً: إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين، في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم، مانعين عن الزواج، وآمرين أنْ يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق؛ لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أُخذ مع الشكر، لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة. إنْ فكرت الإخوة بهذا تكون خادماً صالحاً ليسوع المسيح، متربياً بكلام الإيمان والتعليم الحسن الذي تتبعته، وأما الخرافات الدنسة العجائزية فارفضها، وروض نفسك للتقوى "[٢].

وما جاء في رسالة بولس الأولى لأهل تيموثاوس أيضاً:" الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بِغِنىً للتمتع "[٣].

وما جاء في رسالة بولس إلى أهل كولوسي مستنكراً:" لماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض؛ لا تمس ولا تذق ولا تجس؛ التي هي جميعها للفناء في الاستعمال، حسب وصايا وتعاليم الناس، التي لها حكاية حكمة بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشرية "[٤].

ومن النصوص في كتاب النصارى المقدس أيضاً التي جاء فيها التنعم بالدنيا وملذاتها فيما ينسبونه للمسيح عليه السلام قصة ساكبة الطيب على رأس المسيح التي ذكرها متى في إنجيله، وفيها:"وفيما كان يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص، تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن؛ فسكبته على رأسه وهو متكئ، فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين لماذا هذا الإتلاف؛ لأنه كان يمكن أنْ يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء، فعلم يسوع وقال لهم لماذا تزعجون المرأة فإنها قد عملت بي عملاً حسناً "[٥].

فهذه النصوص كما يتضح تتناقض مع النصوص السابقة الداعية للزهد وترك متاع الدنيا ومباحها، وهي أيضاً كما أسلفت تتناقض مع أصل ومبدأ الرهبانية هذا.

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص ١٤-١٥).

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس، الإصحاح ٤، الفقرات ١-٧.

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس، الإصحاح ٦، الفقرة ١٧.

(٤) رسالة بولس إلى أهل كولوسي، الإصحاح ٤، الفقرات ٢٠-٢٣.

(٥) إنجيل متى، الإصحاح ٢٦، الفقرات ٦-١٠.

رابعاً: تعذيب الأبدان وقهرها:

ومن أسس الرهبنة أيضاً قهر النفس بإيلام البدن والجسد من أجل تزكية الروح وسموها، فبعد أنْ زهدت النفس في الملذات والشهوات والمباحات الدنيوية كما جاء في المبدأ السابق جاء هذا المبدأ ليزيدها سمواً وتطهيراً ورفعة وعلواً كما يعتقد واضعوا نظام الرهبنة(1).

وينطلق النظام في ذلك من تحمل المسيح عليه السلام للآلام كما يزعمون بصلبه على خشبة الصلب فداء للبشرية، فهو الفادي والمخلص الذي جاد بنفسه وروحه من أجل البشرية(2).

وكذلك بما جاء في إنجيل متى عن المسيح عليه السلام أنه قال:" فإنَّ من أراد أنْ يخلص نفسه يهلكها"(3).

وبما في إنجيل لوقا جاء عن المسيح عليه السلام أنه قال:" من طلب أنْ يخلص نفسه يهلكها، ومن أهلكها يحييها "(4).

وكذلك بما جاء في سفر أعمال الرسل من أنَّ المسيح عليه السلام قال:" وإنه بِضِيْقَات كثيرة ينبغي أنْ ندخل ملكوت الله "(5).

وهذه النصوص تخالف نصوصاً أخرى من كتاب النصارى المقدس التي دعت لحفظ الجسد والنفس من القتل والتعذيب والإهلاك والإزهاق، فقد جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس أنه قال لهم:" إنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه "(6)، وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس:" أم لستم تعلمون أنَّ جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله، وإنكم لستم لأنفسكم؛ لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله"(7).

ولقد ذكر لنا التاريخ قصصاً وصوراً لبعض الرهبان عجيبة غريبة متطرفة غالية مبتعدة كل البعد عن حفظ النفس والجسد، جاء فيها تعذيب للنفس وإيلامها بشكل جنوني.

قال الأنبا مارتيروس عن مؤسس الرهبانية أنطونيوس:" فكروا بأنطونيوس رجل الله الذي حفظ منذ حداثته حتى هذه السن المتقدمة غيرة النسك غير منتقصة، دون أنْ ينتصر عليه

---

(1) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٤-٢٤٦، ٢٧٢-٢٧٣)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص١١٣)، ودراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية لحكيم أمين (ص٣، ٨)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص ٢٥-٢٦)، وبدعة الرهبنة للشماس حنين عبد المسيح (ص١٤)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص ٢٩٩).

(2) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٤).

(3) إنجيل متى، الإصحاح ١٦، الفقرة ٢٥.

(4) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٧، الفقرة ٣٣.

(5) سفر أعمال الرسل ليوحنا، الإصحاح ١٤، الفقرة ٢٢.

(6) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح ٥، الفقرتان ٢٨-٢٩.

(7) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٦، الفقرتان ١٩-٢٠.

الطعام الحسن بسبب شيخوخته، ودون أنْ يغير شكل ثيابه بسبب ضعف جسده، ودون أن يغسل رجله بالماء أبداً "(١).

وقال الدكتور الشماس حنين عبد المسيح عن أنطونيوس مؤسس الرهبانية:" اعتاد شرب الماء العكر، وأوصى بتعجيز الجسد وإضعافه وإيلامه، قال الأنبا أنطونيوس: ... فإن كنا لا نشقيه بالحد من الأطعمة والمشروبات لا نستطيع أنْ ننجو في حروبنا الروحية وثورة أعضائنا الجسدية، فلندع اللسان ييبس من العطش، ولنضيق البطن التي اتسعت من الامتلاء بالأطعمة الشهية؛ لأن هذا مرض عند الله "(٢).

ثم ذكر الشماس حنين عبد المسيح بعض الأعاجيب عن الرهبان في ذلك؛ حيث ذكر عن الأنبا مكاريوس الكبير (٣٠٠-٣٩٠ م) أنه اعتاد شرب الماء النتن ذو الرائحة الكريهة، وأنَّ أبا امونيوس الطويل (٣٤٠- ٤٠٣ م) قطع أذنه، وحرّق أطرافه بالحديد المحمى بالنار، وأنَّ الأنبا مقار الاسكندراني (٢٩٦-٣٩٤ م) تعرى ستة أشهر ليعرض جسده لقرص الناموس حتى تورم جميع جسده، وأنَّ الأب إسحاق قس القلالي (٣٥٠-٤٤٤م) كان يأكل الرماد مع الخبز(٣).

ويذكر ول ديورانت والطهطاوي وغيرهم العديد من عجائب قصص الرهبان والقساوسة في تعذيب الأجساد وإيلامها؛ ومن ذلك: ما جاء عن الراهب ماكاريوس (Makarius) أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام، وكان يحمل دائماً نحو قنطار من حديد، وأن الراهب يوسيبيس (Eusebius) يحمل نحو قنطارين من حديد، وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزح، وأن عبد الراهب يوحنا (St. Jhon) تعبد ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة، ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة، فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة، وأن بعض الرهبان يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر، ويأكلون من الكلأ والحشيش، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون عن غسل الأعضاء، وأن أزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس، ويذكر الراهب اتهينس عن زميله الراهب أنتوني:(لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره)، وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة؛ وأن الراهب الإسكندري كان يقول بعد زمن متلهفاً:(واأسفاه ! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً فإذا بنا الآن ندخل الحمامات)(٤).

---

(١) الرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم (ص ٢٥-٢٦).

(٢) بدعة الرهبنة (ص ٢٧-٢٨).

(٣) انظر: بدعة الرهبنة (ص ٢٧-٣٠).

(٤) انظر: قصة الحضارة، لول ديورنت (١٢/١٢٠-١٢٢)، والميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي (ص٣٠١-٣٠٢).

هذه هي طبيعة التشريعات البدعية التي تخالف هدي السماء، وسنة الله في أرضه وخلقه، وسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فمن رغب عن تلك السنن فليس على هدي الله وهدي رسله، وصدق الله القائل في القرآن الكريم: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[(١)]، والقائل عز في علاه: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[(٢)].

وصدق رسوله محمد ﷺ القائل في حق الثلاثة نفر الذين حرموا على أنفسهم بعض المباحات واستقالّوا عبادة النبي ﷺ:" أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي "[(٣)].

والقائل ﷺ موصي أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين:" لاَ تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَيُشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ فَشُدِّدَ عَلَيْهِمْ ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ: رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ "[(٤)].

خامساً: الطاعة التامة والعبادة المتواصلة:

إنَّ من الطقوس والمبادئ والأسس التي لا بد أنْ يتمثلها من انخرط في نظام الرهبانية من الرهبان؛ هو الطاعة التامة بكل خضوع وانصياع للآباء والأساقفة ورؤساء الدير والصومعة ومقر الترهب[(٥)]، وهو ما يعرف بالامتثال الإرادي والطوعي للآباء، وهو ما يقابل عند الصوفية " الفناء الإرادي في إرادة الشيخ المطاع "[(٦)].

ويرجع النصارى هذه الطاعة العمياء لما ينسبونه للمسيح عليه السلام في كتابهم المقدس وتحديداً في إنجيل متى أنه قال لبطرس؛ مؤسس البابوية والكنيسة الكاثوليكية عندهم:" أنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابن كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات؛ فكل ما تربطه على الأرض؛ يكون مربوطاً في السماوات، وكل ما تحله على الأرض؛ يكون محلولاً في السماوات "[(٧)].

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥ / ١٩٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٠٢٠/٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب في الحسد (٤ / ٢٧٦)، وأبو يعلى في المسند (٦ / ٣٦٥)، وحسن إسناده محقق المسند، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص٢٤٦)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ١١٣)، وموسوعة الأنبا غريغوريوس (٣ / ٥٥)، والرهبنة القبطية الأم لرهبانيات العالم للأنبا مارتيروس (ص ٣٥)، والبراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية للمعلم ميخائيل مشاقة (ص ١٠-١١)، والموسوعة العربية العالمية، مصطلح الرهبانية، ومصطلح اليسوعيون، ومصادر النصرانية لعبد الرزاق ألارو (٢ / ٨٧٢-٨٨٣).

(٦) انظر: النصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ١١٣).

(٧) إنجيل متى، الإصحاح ١٦، الفقرات ١٨-١٩.

ولما جاء أيضاً في كتبهم من قوانين للكنيسة في حقوق الآباء والباباوات والأساقفة، كما يذكر الدكتور أحمد شلبي عن كتاب" تعاليم الكنيسة الكاثوليكية " حيث جاء فيه تحت عنوان " نفوذ الكنيسة ": أنَّ الأسقف أجناسيوس؛ أسقف أنطاكية كتب للمسيحيين قائلاً:" عليكم جميعاً أنْ تطيعوا آباء السماء كما أطاع عيسى أباه، أطيعوا أئمتكم الروحانيين كما تطيعون الرسل، ولا يباشر أحد منكم شأناً من الشؤون التي تقوم بها الكنيسة؛ كالتعميد، والزواج، وحضور الموت، والصلاة، بدون حضور آباء الكنيسة، وأنَّى يوجد الأسقف؛ فإنَّ حضوره يعدُّ حضوراً للمسيح نفسه، تبعاً لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية ... الأب والأئمة الروحانيون لهم سلطان لقيادتنا وإرشادنا باسم المسيح، فمن أيديهم نتلقى حياة الطهر عن طريق التعميد، وهم الذين يعطوننا الخبز المقدس في العشاء الرباني، وهم الذين يربوننا لنصبح أبناء الله، وهم عوض عيسى وآباؤنا الروحانيين، فعلينا أنْ نتعمق في احترامهم وحبهم وطاعتهم ... وكل رجال الكنيسة العظام من الأب المقدس إلى الأساقفة يصدرون الأوامر لتنظيم الكنيسة، ولسلامة المسيحيين من الذنوب والهموم النفسية، وتشجيعهم على فهم الحياة الكنسية، والمسيحيون أعضاء يتكون منهم جسم عيسى المقدس فعليهم أنْ يمتثلوا لأوامر الأساقفة، وأنْ يسلموا أنفسهم للآباء الروحانيين "(١).

يقول الدكتور أحمد شلبي عند نقله للكلام السابق فيما يتعلق بطاعة الآباء والأساقفة: "سلطان كنيسة روما انساب إلى الكنائس الأخرى، وليس في الاجتهاد والتشريع وشرح الكتاب المقدس وغيرها مما احتفظت كنسية روما لنفسها، بل في وجوب طاعة المسيحيين للأساقفة، والآباء الروحانيين دون تفكير، كما يطيعون الله، وكما أطاع عيسى أباه على حدِّ قولهم، ومن العجيب أن المسيحيين جعلوا عيسى إلهاً، ثم جعلوا الأساقفة في مقام عيسى أي أحلوهم أيضاً محل الآلهة، فمقام الآلهة عندهم سهل الوصول، ومن العجيب كذلك أنَّ بعض من وُضع في هذا الموضع من آباء الكنيسة انحرف وحكمت عليه الكنيسة بالحرمان؛ فكيف ينحرف المعصوم؟! "(٢).

ومما يجب الطاعة فيه جميع ما يشرعه ويقرره الآباء من الطاعات والعبادات المتواصلة، التي تخرج كثيراً عن الحد الذي يستطيع أنْ يطيقه الإنسان، من صيام وصلوات وترانيم وتعذيب للأجساد كما مرّ معنا؛ وهي مما لا شك فيه مخالفة لهدي وشرعة عيسى عليه السلام، وقد حكى الله ذلك عنهم حينما قال في القرآن الكريم:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾(٣)، وحينما قال سبحانه أيضاً:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا

(١) انظر: المسيحية (ص ٢٠٢- ٢٠٣).
(٢) المرجع السابق (ص ٢٠٢).
(٣) سورة النساء، الآية ١٧١.

تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾[1]، وحينما قال سبحانه أيضاً:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾[2].

ولنترك أستاذ التاريخ والمؤرخ النصراني ول ديورانت يصف لنا بعضاً من تلك العبادات المتواصلة والعقوبات الصارمة في حق الرهبان المخالفين لأقوال الآباء؛ حيث ينقل لنا أنه جاء ضمن تعاليم مؤسس الأديرة في جبال الفوج بفرنسا القديس سانت كولمبان المولود حوالي سنة (٥٤٣م) والتي كتبها للأديرة ورهبانيها ما نصه:" يجب أنْ تصوم كل يوم، وتصلي كل يوم، وتعمل كل يوم، وتقرأ كل يوم؛ وعلى الراهب أنْ يعيش تحت حكم أب واحد ... ويجب أنْ يأوي إلى الفراش وهو متعب يكاد يغلبه النوم وهو سائر في الطريق "[3].

ثم يكمل ول ديورانت قائلاً فيما يتعلق بعقوبات الراهب المخالف:" كانت العقوبات صارمة، أكثر ما تكون بالجلد: ستة سياط إذا سعل وهو يبدأ ترنيمة، أو نسي أنْ يدرم أظافره قبل تلاوة القداس، أو تبسم أثناء الصلاة، أو قرع القدح بأسنانه أثناء العشاء الرباني؛ وكانت اثنا عشر سوطاً عقاب الراهب إذا نسي أنْ يدعو الله قبل الطعام، وخمسون عقاب التأخر عن الصلاة، ومائة لمن يشترك في نزاع، ومائتان لمن يتحدث من غير احتشام مع امرأة. ولم يكن الناس يحجمون عن دخول الدير رغم هذا الحكم الإرهابي، فقد كان في دير مكسويل ستون راهباً، كثيرون منهم ينتمون إلى أسر غنية. وكانوا يعيشون على الخبز، والخضر، والماء؛ ويقطعون الغابات، ويحرثون الأرض، ويزرعون ويحصدون، ويصومون ويصلون. وهنا أقام كولمبان نظام الحمد الذي لا ينقطع iaux perennis. فقد كانت الأوراد يتلوها بلا انقطاع ليلاً ونهاراً طائفة بعد طائفة من الرهبان يوجهونها إلى عيسى ومريم والقديسين "[4].

أخيراً هذه هي مبادئ وأسس النظام الرهباني المسيحي، المفروضة على الرهبان والراهبات من قبل البابوات ورؤساء الأديرة والصوامع، ومما لا شك فيه أنَّ لهذه الأسس والمبادئ انعكاسات وآثار خطيرة على المسيحية ومجتمعتها، وهذا ما سنتطرق إليه في مبحثنا القادم بإذن الله تعالى.

(١) سورة المائدة، الآية ٧٧.
(٢) سورة التوبة، الآية ٣١.
(٣) قصة الحضارة (١٥ / ١٨٠-١٨١).
(٤) قصة الحضارة (١٥ / ١٨١).

المبحث السادس: آثار الرهبانية في المسيحية ومجتمعاتها

نظام مبتدع، ليس فيه من هدي السماء شيء، لا تحتمله طبائع البشر، ولا تصبر عليه، ولو صبر عليه البعض لن يصبر عليه الجماهير، نظام من مبادئه وأسسه العزوبة والتبتل، وتحريم الزواج على من انخرط فيه، نظام يقوم على الوحدة والعزلة والانقطاع والانزواء عن الناس، نظام يقوم على الزهد والتقشف وتجويع النفس، والبعد عن ملذات ومباحات الدنيا وزينتها، نظام يقوم على تعذيب الجسد وقهره، وإلحاق الضرر به، نظام يقوم على الطاعة العمياء للرؤساء والباباوات، وعلى العبادة المتواصلة دون انقطاع، نظام يقوم على الغلو، نظام هذا حاله وهذه مبادئه فكيف ستكون نتائجه وآثاره؟! حتما هي آثار وخيمة، وويلات عظيمة، متعددة مختلفة متشعبة.

يقول المعلم ميخائيل مشاقة، وهو الباحث النصراني:" الطريقة الرهبانية هي اختراع شيطاني قبيح، لم يكن له رسم في الكتب المقدسة، ولا في أجيال الكنيسة الأولى، وهو مضر على أنفس الرهبان، وعلى الشعب، فمن يقاومه يقاوم الشيطان، وهؤلاء الرهبان لا نفع منهم للرعية "(١).

فعن أهم تلك الآثار في المسيحية وأتباعها ومجتمعاتها، سيكون حديثنا في هذا المبحث بإذن الله، ولعل من أهم تلك الآثار التي يمكن أن تقال سواء كانت على المسيحية كديانة، أو على المسيحي كإنسان، أو على الجماعة كمجتمع، ما يلي:

أولاً: ظهور الفواحش والآثام:

حينما خالف نظام الرهبانية الجبلة والفطرة بمنعه الزواج، وتجريم من فعله من الباباوات والقساوسة والرهبان، ولما كان بعض الباباوات والرهبان والقساوسة تتوق أنفسهم لإشباع رغباتهم وشهواتهم، ولم يجدوا ذلك بالنكاح الحلال؛ لجؤوا لأمر آخر محرم في شرائعهم وجميع الأعراف السوية ألآ وهو الزنى بالعشيقات والسراري من الراهبات وغيرهن، وأحياناً الوقوع في إتيان الذكران من المردان داخل الأديرة وأماكن الترهب وخارجها، فتحولت بذلك العديد من الأديرة وأماكن العبادة والطهارة إلى أماكن فحش وفساد وتدنيس، وقد نص على ذلك صراحة علماء ومؤرخو النصارى أنفسهم، وكذا علماء مقارنة الأديان من المسلمين.

قال الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله:" لقد كانت حال رجال الدين تحوطها الريب من كل جانب، وتأخذهم الأنظار المتعقبة من كل ناحية من نواحي الحياة. حرموا على أنفسهم الزواج إذ سادت الرهبانية وسيطرت على نفوسهم، فجعلوا زواجهم حراماً؛ لينصرفوا لخدمة

(١) البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل الباباوية (ص ١٨).

كنيسة الرب، ويقوموا على سدانتها، ويرعوها حق رعايتها؛ ولكن ما أنْ توردت عليهم الأموال، وكثرت أمامهم أسباب النعيم، حتى فكهوا فيها مترفين، وانغمسوا في الملاذ يستطيبون أطيبها، ويطلبون أشدها، ولما مكنوا لأنفسهم من السلطان، انتفع بعضهم في طلبها اندفاعاً، ومنهم من استهتر في سبيلها استهتاراً، وخرجت حال بعض أولئك المنغمسين في الخطايا من السر إلى الجهر، ومن التستر إلى التفحش، ومن الخفية إلى الإعلان، واتصل بعضهم بالنساء اتصال سفاح، بعد أنْ حرموا على أنفسهم النكاح؟ ولم تتمنع النساء المتصلات بهم من أنْ يعلن ذلك مفاخرات به، وجاء من ذلك الاتصال الآثم أولاد لا آباء لهم، ولكن لهم حظوة؛ لأن بعض رجال الدين عرفوا آباءهم، كما يعرفون أبناءهم، فيمكنون لهم بسلطانهم الديني سلطاناً دنيوياً "[١].

وقال الدكتور أحمد شلبي عن الأديرة بعد أن ذكر أن الرهبنة نشأت عند أول نشأتها لقصد التضحية والفداء والطهر:" وأنَّ الأديرة نشأت لمساعدة الرهبان على هذه الأهداف السامية، بيد أنَّ حياة الطهر في الصوامع والأديرة كانت قصيرة العمر جداً، فسرعان ما تطرق لها الفساد، وشملها الفسوق ... ويقول الأنبا باسيلوس مطران أبي تيج: إنَّ الأديرة لا تقي من الفساد، وأنَّ الرهبان يحيون حياة شريرة "[٢].

ثم يذكر الدكتور أحمد شلبي أنَّ مجلة " رسالة الحياة " المسيحية تكلمت عن فساد الأديرة، ومما جاء في المجلة من ذلك ما نصه:" الأديرة تحتوي على فساد عميق، وهيهات أنْ يوجد بها من يصلح للبقاء، إذ أنها تضم بين جدرانها أفاقين أولى بهم غيابات السجون "[٣].

ثم ذكر أحمد شلبي أنَّ من أوثق الكتب التي وقف عليها عن الأديرة كتاب " الديارات" للشابوشتي المتوفى سنة (٣٨٨هـ- ٩٩٨م) الذي تحدّث فيه عن أحوال ثلاثة وخمسين ديراً، وبيّن أنها اشتملت على الكثير من الانحرافات والفساد، وذكر أنَّ الكتاب حققه الباحث النصراني كوركيس عواد معتمداً على نسخة الأب " أنستاس مارى الكرملي "، ونقل أعني شلبي مجموعة من الاقتباسات التي ذكرها الشابوشتي[٤]، وما نقله شلبي من نقول هي موجودة ضمن الكتاب، وهو موجود على الشبكة العنكبوتية، ومما جاء فيه من كلام عن الأديرة:

قال الشابوشتي عن دير درمالس:" هذا الدير في رقة باب الشماسية ببغداد ... آهل برهبانه وقسانه والمتبتلين فيه، وهو من البقاع المعمورة بالقصف والمقصود بالتنزه والشرب

(١) محاضرات في النصرانية (ص ٢١١-٢١٢).
(٢) المسيحية (ص ٢٤٧).
(٣) المرجع السابق (ص ٢٤٧-٢٤٨).
(٤) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ٢٤٨).

... وعيده أحسن عيد، يجتمع نصارى بغداد إليه، ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة إلا تبعهم، ويقيم الناس فيه، ويطرقونه في غير الأعياد "(١).

ويقول عن دير الثعالب:" ليس يخلو من أهل البطالات، ولا يخل به أهل المتطرب واللذات، فمواطنه أبداً مشحونة بالمتنزهين، وبقاعه معمورة "(٢).

وقال المعلم ميخائيل مشاقة معلقاً على تحريم الزواج في حق الرهبان:"من المعلوم أنَّ الطبيعة البشرية تغصب الإنسان على استيفاء حقها، ومن العدل أنْ تستوفيه وليس بمحرم عليها استيفاؤه حسب الشريعة، ولا استطاعة لجميع البشر على حفظ البتولية، ولذلك نرى كثيرين من الأساقفة والقسوس والشمامسة لا بل من البابوات المدعين بالعصمة، قد تكردسوا في هوة الزنى، لعدم تحصنهم بالزواج الشرعي، وأنَّ ذات النذر بالامتناع عن الزواج هو غير عادل لتضمنه سلب حقوق الطبيعة، وكونه يقع الإنسان تحت خطر السقوط في الزنى، ويفتح باباً واسعاً لدخول الشيطان أنْ يجرّبه "(٣).

وقال المؤرخ ول ديورانت، وهو يحكي حال الرهبان:" ولم يحل عام ٩٠٠ حتى تدهورت أديرة الغرب، كما تدهورت الأنظمة كلها، إلا القليل الذي يستحق الذكر منها، في أوربا اللاتينية إلى الدرك الأسفل من حياتها أثناء العصور الوسطى. وليس أدل على هذا الانحطاط من قول سانت أدو رئيس دير كلوني (المتوفى عام٩٤٢) :(إنَّ بعض رجال الدين في الأديرة وخارجها يستهترون بابن العذراء استهتاراً، يستبيحون معه ارتكاب الفحشاء في ساحاته نفسها، بل في تلك البيوت التي أنشأها المؤمنون الخاشعون؛ لكي تكون ملاذاً للعفة والطهارة في حرمها المسور، لقد فاضت هذه البيوت بالدعارة)"(٤).

وقال ول ديورانت أيضاً:" لا ننكر أنه كان في أماكن متفرقة رجال شواذ ينـدي مـن فعالهم الجبين، فها هو ذا الأسقف بنيفاس يشكو إلى البابا زخاري Zachary في (٧٤٢) أنَّ الأسقفيات تعطي " للشرهين من غير رجال الدين، وللزانين من القسيسين"، وأنَّ بعض الشمامسة "يحتفظون بأربع سراري أو خمس". وقد اتهم بيد الموقر في هذا القرن بعينه " بعض أساقفة " إنجلترا بأنهم يضحكون ويهزلون، ويروون الأقاصيص، ويمرحون، ويسكرون، ويحيون حياة الملذات والفسق". وكثرت هذه التهم وأمثالها في أواخر الألف السنة الأولى بعد الميلاد؛ فها هو ذا رالف جلابر Ralph Glaber يصف قساوسة ذلك العهد بأنهم يشاركون أهله في فسادهم الخلقي، وها هو ذا راهب إيطاليا يدعى بطرس

(١) الديارات (ص ٢)، وانظر أيضاً: المسيحية لأحمد شلبي (ص ٢٤٩).
(٢) الديارات (ص ١٠)، وانظر أيضاً: المسيحية لأحمد شلبي (ص ٢٤٩).
(٣) البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية (ص ١٧-١٨).
(٤) قصة الحضارة (١٥ / ١٨٩-١٩٠).

داميان Peter Damian(١٠٠٧-١٠٧٢) يعرض على البابا كتاباً يسمى Liber Gomorrhianus ويصف فيه بالمغالاة التي يتوقعها الإنسان من رجل متمسك بدينه، ما يرتكبه القساوسة من رذائل؛ وفي هذا الكتاب فصل عن " مختلف القضايا المتناقضة للطبيعة"[١].

وقال ول ديورانت أيضاً عن أديرة روما وما فيها من فواحش وآثام:" يبدو أنَّ الراهبات، ملائكة الرحمة في هذه الأيام؛ كان لهن نصيب، في هذا المرح، أو أنهن كن مرحات رشيقات في البندقية بنوع خاص حيث كانت أديرة الرجال والنساء متقاربة قرباً يسمح لمن فيها بالاشتراك من حين إلى حين في فراش واحد. وتحتوي سجلات الأديرة على عشرين مجلداً من المحاكمات بسبب الاتصال الجنسي بين الرهبان والراهبات. ويتحدث أريتينو عن راهبات البندقية حديثاً لا تطاوع الإنسان نفسه على أنْ ينطق به؛ وجوتشيارديني، الرجل الرزين المعتدل عادة، يخرج عن طوره ويفقد اتزانه حين يصف روما فيقول:" أما بلاط روما فإنَّ المرء لا يستطيع أنْ يصفه بما يستحق من القسوة، فهو العار الذي لا ينمحى أبد الدهر، وهي مضرب المثل في كل ما هو خسيس مخجل في العالم ". ويبدو أنَّ هذه شهادات مبالغ فيها، وقد تكون غير نزيهة، ولكن استمعوا إلى قول القديسة كترين السيانية:" إنك أينما وليت وجهك- سواء نحو القساوسة أو الأساقفة أو غيرهم من رجال الدين، أو الطوائف الدينية المختلفة، أو الأحبار من الطبقات الدنيا أو العليا، سواء كانوا صغاراً في السن أو كباراً- لم تر إلا شراً ورذيلة، تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة. إنهم كلهم ضيقوا العقل، شرهون، بخلاء ... تخلوا عن رعاية الأرواح ... اتخذوا بطونهم إلهاً لهم، يأكلون ويشربون في الولائم الصاخبة، حيث يتمرغون في الأقذار ويقضون حياتهم في الفسق والفجور...ويطعمون أبنائهم من مال الفقراء ... ويفرون من الخدمات الدينية فرارهم من السجون "، وهنا أيضاً يجب أنْ نسقط بعض ما يحتويه هذا الوصف من مبالغة، إذ ليس في وسع الإنسان أنْ يثق بأن الولي الصالح يتحدث عن سلوك الآدميين وهو غير غاضب. ولكن في وسعنا أنْ نصدق هذه الخلاصة التي يعرضها مؤرخ كاثوليكي صريح:" وإذا كانت هذه هي حال الطبقات العليا من رجال الدين فإنَّ المرء لا يعجب إذا كان من دونهم من الطبقات ومن القساوسة قد انتشرت بينهم الرذيلة على اختلاف أنواعها، وأخذ انتشارها على مدى الأيام. إلا أنَّ الحياء قد زال من العالم...غير أنَّ من الخطأ أنْ يظن المرء أنَّ القساوسة كانوا في روما أكثر فساداً منهم في غيرها من المدن. ذلك أنَّ لدينا من الوثائق ما يثبت بالدليل القاطع فساد أخلاق القسيسين في كل مدينة تقريباً من مدن شبه الجزيرة الإيطالية. بل إنَّ الحال في كثير من الأماكن-كالبندقية

---

(١) المرجع السابق (١٥ / ٢٠٣).

مثلاً– كانت أسوأ كثيراً منها في روما ... ولقد كان الكثير من الأديرة في حال يرثى لها. وأغفلت في بعضها الأيمان الثلاث الأساسية؛ بالتزام الفقر، والعفة، والطاعة إغفالا يكاد يكون تاماً...ولم يكن النظام في كثير من أديرة النساء أقل من هذا فساداً "(١).

ونجد الدكتور الشماس حنين عبد المسيح عنون في كتابه " بدعة الرهبنة " لباب كامل بعنوان: "العلاقة بين الرهبنة والكبت والشذوذ، والنظرة المنحطة للمرأة" تكلم فيه عن الشذوذ الذي وقع فيه بعض الرهبان، ووقوعهم في الزنى وإتيان المردان، ومخالفتهم لبعض تعاليم كتابهم المقدس في ذلك، وذكر بعض الوقائع المعاصرة التي حدثت مطلع هذه الألفية وتحديداً (٢٠٠١م)(٢)، وقال في آخر تعليقه:" ليست المشكلة في المرأة ولا في الصبيان، بل في العين الشريرة، والقلوب الرهبانية المريضة، والتعاليم والوصايا المتطرفة "(٣).

وللإمام ابن الجوزي –رحمه الله– كلاماً نفيساً عن محاذير ترك النكاح وتحريمه على النفس البشرية عند الصوفية ومن سلك مسلكهم بدعوى التفرغ للعبادة، أو غير ذلك من دعاوى غير معتبرة، حيث يقول:" محاذير ترك النكاح: واعلم أنه إذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع؛ النوع الأول: المرض بحبس الماء، فإنَّ المرء إذا طال احتقانه تصاعد إلى الدماغ منه منيه، قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي: أعرف قوماً كانوا كثيري المني؛ فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف، بردت أبدانهم، وعسرت حركاتهم، ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب، وعرضت لهم أعراض الماليخوليا، وقلت شهواتهم وهضمهم، قال: ورأيت رجلاً ترك الجماع ففقد شهوة الطعام، وصار إنْ أكل القليل لم يستمره وتقايأه، فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الأعراض سريعاً. النوع الثاني: الفرار إلى المتروك، فإنَّ منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع، فاجتمع الماء؛ فأقلقوا فجاعوا فلامسوا النساء، ولابسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه، فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك في زمن الصبر. النوع الثالث: الانحراف إلى صحبة الصبيان؛ فإنَّ قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح؛ فأقلقهم ما اجتمع عندهم، فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد "(٤).

هذا حال العديد من الأديرة ورهبانها وقساوستها رجالها ونساؤها، يشاهد ذلك ويسمعه الفرد المسيحي العادي، فهو يشاهد قدوات الطهر والعفاف، يقعون ويتورطون في المنكرات والآثام، فإننا نجده حتماً سيستسيغ ذلك لنفسه ويقع فيه أيضاً، وما تفشي الانحرافات الخلقية

---

(١) المرجع السابق (٢١ / ٧٩–٨١).

(٢) انظر: بدعة الرهبنة (ص١٧–٢١)، وينظر للفائدة أيضاً: إظهار الحق لرحمت الله الهندي (٣/٨٤٧–٨٤٨)، (١٣٤٧/٤–١٣٤٨)، وكتاب: فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات لمصطفى فوزي غزال فقد أورد في كتابه عشرات القصص فيما يتعلق بانحراف الباباوات والرهبان.

(٣) بدعة الرهبنة (ص٢١).

(٤) تلبيس إبليس (١ / ٢٦٢–٢٦٣).

والسلوكية بجميع صورها في بلاد الغرب المسيحي ومجتمعاته إلا من نتاج مثل هذه الأنظمة الغالية المبتعدة عن هدي ونور الله وشرعه.

ثانياً: التفكك الأسري:

حينما ينعزل الأبناء والآباء في الكهوف والمغارات والأديرة، ويبتعدوا عن أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم وأمهاتهم وأسرهم وأقاربهم، ويصبح الابن أو الأخ أو الأب أو الأم أو البنت لا تواصل بينهم وبين أسرهم وأقاربهم، ويعيش أفراد الأسرة كأنهم أيتامٌ وأيامى لا رب لهم ولا راع يعولهم، فحتماً النتيجة ستكون هي تفكك وتشتت في الأسرة، ومن ثم تفكك في المجتمع، فالأسرة وتماسكها كما لا يخفى من أهم قوائم ومرتكزات قوة المجتمع وتماسكه، أضف إلى ذلك ما يحدث من خطف للأطفال أحياناً أو نذرهم لضمهم للأديرة منذ نعومة أظفارهم، كما ذكر ذلك ول ديورانت في قصة الحضارة، حيث يقول:" ومن الرهبان والراهبات من كانوا نذوراً جيء بهم إلى الأديرة وهم أطفال في سن السابعة أو بعدها، ومنهم من جيء بهم وهم رضع في المهد "(١).

وجاء في الموسوعة الميسرة في الأديان عن الرهبانية:" من أهم نتائجها أنْ تزلزلت دعائم حياة الأسرة، فكثيراً ما أصبحت الأمهات ثكلى، والأزواج أيامى، والأولاد يتامى، بعد خطفهم من الرهبان "(٢).

ومن الويلات في ذلك أيضاً أننا نجد بعض تعاليم الكتاب المقدس التي قد ينطلق منها بعض من آثر العزلة والانزواء تحض على هجران الوالدين والإخوة والأولاد بكل صراحة ووضوح، بل تدعو أحياناً لبغضهم وعدم حبهم(٣).

ومن تلك التعاليم كما أسلفت سابقاً، ما جاء في في إنجيل لوقا فيما ينسب للمسيح عليه السلام أنه قال:" إنْ كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أنْ يكون لي تلميذاً "(٤).

وما جاء في إنجيل متى أيضاً من قوله:" كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً او أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية"(٥).

ومن ثم ينتج من التفكك الأسري الكثير من المشكلات والفساد في المجتمعات، والواقع المسيحي الغربي يعاني الأمرين من ذلكم التفكك في الأسرة، والواقع لهو أكبر دليل على ذلك،

---

(١) قصة الحضارة (١٥ / ١٨٩).
(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٦١٠).
(٣) بدعة الرهبنة (ص٢٤).
(٤) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٤، الفقرة ٢٦.
(٥) إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرة ٢٩.

فالفساد وانتشار الجريمة في المجتمعات والتفكك الأسري يكاد لا ينفك بعضها عن بعض، لذا وجدنا الدين الإسلامي الحنيف حذر من التفكك الأسري أيما تحذير، وحث على التواصل بين أفراد الأسرة والترابط بينهم كثيراً، ونشاهد ذلك بكل وضوح في قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾(١)، وقول النبي ﷺ: أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"(٢)، وقوله ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين:" ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ "(٣).

ثالثاً: محاربة التقدم والعمران والإصلاح:

حينما يأمر نظام الرهبانية الرهبان والأساقفة بالزهد والتقشف، والعزلة والانزواء، والبعد عن الناس والاجتماع بهم، وعدم مشاركتهم في أحوالهم وأمور عيشهم، وترك الأعمال، والتواكل لا التوكل، ودعوة الناس للانخراط في هذا النظام، فمن أين سيأتي التقدم والتطور والإصلاح في المجتمعات، في محتلف الجوانب والنواحي؟! فحتماً لن يكون هناك أي تقدم وتطور، فالنظام الرهباني يدعو للتقشف وترك الدنيا، وعدم عمارة الأرض.

يقول المعلم ميخائل مشاقة:" الرهبان لا نفع منهم للرعية ... وهم كسالى بطالون، يعيشون من أتعاب غيرهم "(٤).

وليعلم أنَّ أي نظام يدعو للخمول والكسل والتقوقع وترك ما أحله الله وأباحه، والبعد والانزواء عن المجتمعات، وعدم مشاركة الناس في أمور حياتهم؛ فهو نظام يحارب التقدم والعمران وعمارة الأرض وإصلاح المجتمعات.

رابعاً: قطع النسل :

إنَّ من أسس نظام الرهبانية كما أسلفت العزوبة والتبتل، وتحريم الزواج على الرهبان والأساقفة وجميع من انخرط في سلك الرهبانية، وهذا مما لا شك فيه يدعو بالإضافة لما تقدم

---

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

(٢) (النساء: ٥٩) (٦ / ٢٦١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية ،والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٣ / ١٤٥٩) كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التمني، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام (٦ / ٢٦٤٧)، من حديث مالك بن الحويرث ﷺ.

(٤) البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية (ص ١٨).

من ظهور الفواحش والآثام إلى قطع النسل، وعدم إنجاب الأطفال بالطرق المشروعة، وهذا مخالف للفطر والأعراف، والمقصود من وجود الذكر والأنثى.

يقول المعلم ميخائيل مشاقة منتقداً على نظام الرهبانية تحريم الزواج:" كأن الراهب ينذر على نفسه مقاومة كلمة الله الذي قال لآدم وحواء " أنميا وأكثرا "[١]، وأنه يمنع أن يأتيه نسل يسبح الله، وبالجملة أنه يعدم وجود ألوف ألوف ربما كانت تتولد من ذريته، فكأنه قد قتلها، وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الإنجيلية ... فالآن كنيسة رومية تريد أنْ نتعلم منها بأن الله لم يخلق أنثى لذلك الراهب، ولا ذكر لتلك الراهبة؛ لكي يتناسلا ويتعاونا على المعيشة "[٢].

خامساً: إهلاك الأنفس والأبدان:

إنَّ من أسس الرهبنة قهر النفس بإيلام الأجساد، والوصول بذلك لتزكيتها وتطهيرها، وهذا التطهير المزعوم هو عبارة عن إزهاق للنفوس، وإهلاك للأبدان، وتعذيب للأجساد، فالأجساد والأبدان ليست هي ملك للإنسان يعذبها بمختلف أنواع التعذيب، بل هي ملك لله الواحد الديان، فهذا ظلم وجور وإلقاء النفس للتهلكة، والأديان والشرائع الصحيحة جاءت جميعها بحفظ الضروريات الخمس، والتي منها: حفظ النفوس والأبدان[٣].

وقد نص كتاب النصارى المقدس على حفظ الجسد وعدم إزهاقه، ففي رسالة بولس إلى أهل أفسس ما نصه:" يجب على الرجال أنْ يحبوا نساءهم كأجسادهم، من يحب امرأته يحب نفسه، فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه "[٤]، وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: "وإنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله "[٥].

وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم في حفظ النفس والبدن، وعدم تحميلها ما لا تحتمل: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾[٨]، وقد قال رسول الله محمد ﷺ:" لا تشددوا على أنفسكم فيشدِّد الله عليكم، فإنَّ قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم"[٩].

(١) انظر: سفر التكوين، الإصحاح ١، الفقرة ٢٨.
(٢) البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية (ص ١٨).
(٣) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي (٥ / ٢٦٩)، والموافقات للشاطبي (١ / ٥).
(٤) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح ٥، الفقرتان ٢٨-٢٩.
(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٦، الفقرتان ١٩-٢٠.
(٦) سورة البقرة، الآية ١٩٥.
(٧) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.
(٨) سورة المائدة، الآية ٦.
(٩) سبق تخريجه في المبحث الخامس، في المبدأ الرابع.

سادساً: فقدان الثقة في الدين ورجالاته:

حينما رأى الفرد المسيحي ما حلّ في الكنيسة وأماكن الترهب من فساد كبيـر وظهـور للفواحش والآثام من قبل بعض رجال الدين، ومن عوّل عليهم ذلكم الفرد العـادي فـي أمـور دينه، حينما شاهد ذلك كله فقد الثقة فيهم وفيما يقولونه، ومن ثم نجده فقد الثقة في الـدين مـن أساسه، فظهر العديد من مظاهر الجهل والانحرافات الدينية والخلقية، ونشأ من ذلـك الانقـسام والاختلاف، وظهور الحركات والاتجاهات الفكرية المعارضة؛ كالعلمانية والإلحاد، والحركات الإباحية الهدامة(١).

قال ول ديورانت بعد حديثه عن فساد العديـد مـن الرهبـان والقـساوسة ورجـالات الكنيسة:"لا عجب والحالة هذه إذا تضاءل نفوذ رجال الدين كما يشهد بذلك مع الأسف الـشديد الكتَّاب المعاصرون، وإذا كان المرء لا يكاد يجد في كثير من الأمـاكن أي احتـرام يظهـره الشعب للقسيسين. ذلك أنَّ الفساد قد استشرى بينهم "(٢).

سابعاً: انعدام القيم والأخلاق في العديد من المجتمعات المسيحية:

إنَّ ما شاهده المجتمع المسيحي من انحرافات عند العديد من الرهبـان والأسـاقفة مـن وقوع في الفواحش ومن تكالب على أموال الناس باسم الدين، وكذا من الدعوة للزهد والتقـشف وتعذيب الأجساد والأبدان بأنواع التعذيب الجنونية، والطاعة العمياء لرجالات الكنيسة وما فـي أوامرهم من تعسف وصلف، كل ذلك ولّد بالإضافة لما سبق نزع الثقة بالقيم والأخـلاق التـي يحضوا عليها بأفواههم، ومن ثم الوقوع فيما يناقضها من سيء الأخلاق والخلال.

قال الشيخ محمد أبو زهرة –رحمه الله– عن الرهبان:" ما أنْ توردت عليهم الأمـوال، وكثرت أمامهم أسباب النعيم، حتى فكهوا فيها مترفين، وانغمسوا في الملاذ يستطيبون أطيبهـا، ويطلبون أشدها، ولما مكنوا لأنفسهم من السلطان، انتفع بعضهم في طلبها اندفاعاً، ومنهم مـن استهتر في سبيلها استهتاراً، وخرجت حال بعض أولئك المنغمسين في الخطايا من السر إلـى الجهر، ومن التستر إلى التفحش، ومن الخفية إلى الإعلان "(٣).

وجاء في الموسوعة الميسرة للأديان:" كان للرهبانية أثرهـا البـالغ علـى الأخـلاق الأوربية، فانعدمت أخلاق الفتوة والمروءة التي أصبحت من المعايب والرذائـل، كمـا هجـر الناس البشاشة والسماحة والشجاعة "(٤).

(١) انظر: الصراع بين الكنيسة والعلم لأحمد الغامدي (ص ٢٧٣–٢٧٥، ٣٨٥–٣٨٨).
(٢) قصة الحضارة (٢١ / ٨١).
(٣) محاضرات في النصرانية (ص ٢١٢).
(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان (٢ / ٦١٠).

ثامناً: ترك العبادات والطاعات:

سبق وأنْ ذكرنا في أثناء الحديث عن أسس الرهبانية أساساً من أهم أسسها؛ وهو الطاعة التامة العمياء للروساء والباباوات والعبادة المتواصلة دون انقطاع، وما يتخلل ذلك من عقوبات صارمة على من قصّر في ذلك أو بدى منه مخالفة في قيامه بتلك الطاعات، وهذا الغلو والتشدد مما لا شك فيه يدعو لترك الطاعات والعبادات، بل النفور عنها وكرهها واستثقالها، والانقطاع التام عنها وعن أماكن قيامها، وهذا ما نشاهده في الكثير من المجتمعات المسيحية، التي تعدُّ مجتمعات غير متدينة تظهر فيها العلمانية بجميع صورها ظهوراً كبيراً.

يقول ول ديورانت وهو يشخّص حال الرهبان وعباداتهم ومدى التزامهم بها:" كان الرهبان والراهبات يعودون إلى فطرتهم البشرية بين آونة وأخرى بعد أنْ يبقوا زمناً طويلاً مثلاً عليا للفضيلة، والخشوع، والجد، وكان لا بد من قيام حملة في كل قرن تقريباً لرفع الرهبان مرة أخرى إلى المستويات العليا غير الفطرية التي شرعوا لأنفسهم قواعدها. كذلك كان بعض الرهبان ينهمكون في نوبات موقوتة من التقى والخشوع، ثم يصبحون غير صالحين لنظام الرهبنة بعد أنْ يفيقوا من نشوتهم وتضعف حماستهم "(١).

وصدق نبي الإسلام حينما قال ﷺ لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين:" إيَّاكم والغلو في الدِّين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدِّين "(٢)، وقوله ﷺ:" إنَّ الدِّين يسر، ولن يشُادَّ الدِّين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا "(٣)، وقوله ﷺ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ "(٤).

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:" اعلم أنَّ الحرج مرفوع عن المكلف لوجهين: أحدهما: الخوف من الانقطاع من الطريق، وبغض العبادة، وكراهة التكليف...والثاني: خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع، مثل قيامه على أهله وولده، إلى تكاليف أُخَر تأتي في الطريق، فربما كان التوغل في بعض الأعمال شاغلاً عنها، وقاطعاً بالمكلف دونها، وربما أراد الحمل للطرفين على المبالغة في الاستقصاء، فانقطع عنهما. فأما الأول، فإنَّ الله وضع هذه الشريعة المباركة حنيفية سمحة سهلة، حفظ فيها على الخلق قلوبهم، وحببها لهم بذلك، فلو عملوا على خلاف السماح والسهولة، لدخل عليهم فيما كلفوا به ما لا تخلص به أعمالهم"(٥).

---

(١) قصة الحضارة (١٥ / ١٨٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١ / ٢١٥)، وابن ماجة في السنن، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٢ / ١٠٠٨)، وصحح الشيخ الألباني إسناده في صحيح سنن ابن ماجة (٢ / ١٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سبق تخريجه في مقدمة البحث.

(٤) سبق تخريجه في مقدمة البحث.

(٥) الموافقات (٢ / ٢٣٣).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله:" المشروع هو الاقتصاد في الطاعات؛ لأنَّ إتعاب النفس فيها، والتَّشديد عليها، يفضي إلى ترك يسر "(١).

تاسعاً: تحريم ما أحل الله، وتأليه أحبارهم:

حينما اتخذ الرهبان الآباء لهم رؤساء وأطاعوهم طاعة عمياء في كل ما يقولونه لهم، وشرّعوا لهم ما لم يشرعه الله، من العبادات والشعائر والطاعات والطقوس، وحرموا الحلال؛ كتحريمهم النكاح، وأمرهم بإزهاق الأجساد والأبدان والأرواح، كل ذلك عبارة عن تأليه وعبادة لغير الله تعالى، فهم بصنيعهم هذا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٢)، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ. قَالَ:" أَجَلْ؛ وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَيُحَرِّمُونَهُ، فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ "(٣).

أخيراً: هذه أهم نتائج وآثار نظام الرهبانية المبتدع في الأفراد والمجتمعات المسيحية، وقبل ذلك على الرهبان أنفسهم، ولقد ذكرنا من الآثار التي بينا فيها خطورة هذا النظام آثاراً عدة، ألخصها في: ظهور الفواحش والآثام، والتفكك الأسري، ومحاربة التقدم والعمران والإصلاح، وفشو الجهل ورفع العلم، وفقدان الثقة في الدين ورموزه، والبعد عن القيم والأخلاق، وترك العبادات والطاعات، وتحريم ما أحل الله، وتأليه الأحبار والرهبان، وكل ذلك ضلال يتبعه ضلال، وظلمات فوقها فوق بعض، والعياذ بالله، والحمد لله على اتباع شرع الله وهديه، والسير على خطا وسنن أنبيائه الطاهرين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) نيل الأوطار (٦ / ٢٣٠).

(٢) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٣) رواه الترمذي في السنن، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة التوبة (٥ / ٢٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١١٦)، والحديث حسن إسناده الألباني – رحمه الله – كما في صحيح الترمذي (٣ / ٥٦).

الخاتمـــة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أنْ لا إله إلا الله رب البريات، وأشـــهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الذي جاء بالتيسير ونبذ التعسير، والتحذير من الغلو في الدين والطاعات، وبعد:

فبتوفيق وفضل من الله عز في علاه وصلنا إلى نهاية المطاف، حيث تناولت فـــي هـــذه الدراسة مسألة " **الرهبانية في المسيحية بالعرض والنقد** " وذلك في ضوء الإســـلام وعقيدتـــه الصافية النقية، وقد تناولتها في ستة مباحث، أولها: في بيان مفهومها، وثانيهـــا: فـــي نـــشأتها، وثالثها: في مراحل تطورها وظهورها وأنماطها، ورابعها: في أســـباب وعوامـــل ظهورهـــا، وخامسها: في مبادئها وأسسها، وسادســـها: فـــي آثارهـــا ونتائجهـــا علـــى الـــدين والأفـــراد والمجتمعات، ولعل من المناسب في نهاية هذه الدراسة أنْ أذكر جملة من نتائجها وتوصـــياتها، والتي أجملها في التالي:

١-إنَّ الرهبانية نظام وأسلوب حياة مبتدع غال فيه عنت ومشقة، يتقرب بـــه النـــصارى إلـــى الرب، ويشتمل على عبادات وطقوس وشعائر، وهي تعني الابتعاد عـــن ضـــجيج الحيـــاة، والانقطاع للعبادة في الكهوف والأديرة، والحرمان من لذيذ العيش، والتخلي مـــن أشـــغال الدنيا، والزهد فيها، وتعمُّد مشاقِّها؛ كتعذيب الجسم بالجوع والعطش، ولبس خشن الثيـــاب، والتبتل وعدم الزواج، وخصي النفس أحياناً.

٢-إنَّ هناك إطلاقات وتسميات كثيرة تطلق على الرهبـــان؛ منهـــا: الراهـــب، والمعتـــزلين، والديار، والديراني، والديرانية، والديري، والراكع، والأبيل، والقفَّال، والمتبتِّـــل، والقَهَـــل، والحبساء، والرَّبيط، والجلاذي، والنُّهامِيُّ، والأشـــعث، والمتعبِّـــد، والمحـــرِّر، والنـــذيرة، والعذارى، والناسك، والسائح.

٣-إنَّ للرهبان درجات سبع؛ هي حسب الترتيب والأولويـــة: التلميـــذ، والراهـــب، والعابـــد، والناسك، والمتوحد، والسائح، والرؤية الطوبانية.

٤-إنَّ هناك إطلاقات وتسميات كثيرة تطلق على أمـــاكن ترهـــب وتعبـــد الرهبـــان؛ منهـــا: الصومعة، والتَّامُور، والدير، والقلايـــة، والبيـــع، والاســـطوانة، والأُكَيْـــرَاح، والكِـــرح، والصّرح، والمنهمة، والناموس، والعُمْر، والقُوس.

٥-إنَّ القرآن الكريم ذكر لنا بوضوح وجلاء أنَّ الرهبانية وما اشـــتملت عليـــه مـــن شـــعائر وطقوس لم تكن في شرع الله الذي أنزله على نبيه ورسوله عيسى عليه السلام، وما هي إلا بدعـــة محدثة أحدثها النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام.

٦-إنَّ المقصود بالجعل في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ

رِعَايَتِهَا ﴾[1]، هو الجعل الخلقي الكوني، الذي يتناول الخير والشر؛ ومثله قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾[2].

٧-إنَّ الاستثناء الوارد في قوله تعالى:﴿ مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ هو استثناء منقطع؛ وتقديره: ابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم؛ لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، فإنَّ إرضاء الله واجب مكتوب على الخلق، ويكون بفعل المأمور، وبترك المحظور، لا بفعل ما لم يأمر بفعله، وبترك ما لم ينه عن تركه، والرهبانية فيها فعل ما لم يؤمر به، وترك ما لم ينه عنه.

٨-إنَّ المقصود بقوله تعالى: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهو ذم من وجهين؛ أولاهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. وثانيهما: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله تعالى.

٩-إنَّ نظام الرهبنة في النصرانية أول ما نشأ نشأ عند اتباع الكنيسة الشرقية المصرية الأرثوذكسية القبطية في مصر، في أواخر القرن الثالث وبدايات ومنتصف القرن الرابع الميلادي، ثم بعد ذلك انتشر شرقاً وغرباً.

١٠-إنَّ مؤسس النظام الرهباني ومبدعه في المسيحية هو القديس أنطونيوس (٢٥٦- ٣٥٦م) المولود في بلدة (كوما) المسماه (قمن العروس) في محافظة بني سويف حالياً، وهو من أسرة غنية متعلمة، وقد فضّل حياة التقشف والزهد والجوع والتنسك والرهبنة في الكهوف والمغارات على حياة الغنى والترف والتلذذ منذ شبابه إلى مماته.

١١-إنَّ رهبانية أنطونيوس في أول نشؤها لم تنشأ في حضن الكنيسة إنما نشأت في خارج الكنيسة.

١٢-إنَّ مصطلح الرهبانية لم يكن موجوداً في المسيحية قبل أنطونيوس، وهذا لا يعني أنه لا يوجد قبل القديس أنطونيوس بعض مقدمات الرهبنة والحياة الانعزالية من خروج للصحاري والقفار، فقد وُجد العديد من العباد الذين خرجوا للفيافي والصحاري، وأطلق على واحدهم الناسك المنعزل؛ مثل: فرونتنيوس أحد أغنياء الإسكندرية، وذلك سنة (١٥٠م)، والأنبا بولا الطيبي (٢٢٨- ٣٤٣م).

١٣-إنَّ الرهبانية بعد القديس أنطويوس تطوّرت مع عدد من رهبان النصارى المشاهير؛ مثل: القديس باخوميوس (٢٩٠-٣٤٦م) المعاصر للقديس أنطونيوس، والقديس باسيل أو بازل القيصري (ت ٣٧٨م)، ومعه شقيقته ماكرينا، والقديس اثناسيوس الرسولي الذي كتب عن سيرة كل من: القديس أنطونيوس، والقديس باخوميوس.

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢٧.

(٢) سورة القصص، الآية ٤١.

١٤-إنَّ دخول نظام الرهبانية للكنيسة الغربية الكاثوليكية كان علـى يـد القديـسين كاسـليان (٣٧٠ - ٤٢٥م)، ومارتن التوري (٣١٦ - ٣٨٧م).

١٥-إنَّ الطائفة الإنجيلية البروتستانتية الإصلاحية التي ظهرت فـي القـرن الـسادس عـشر الميلادي؛ أتباع مارتن لوثر، لا تقر بنظام الرهبانية، وهي ممن حاربته ورفضته، وهـي بذلك خالفت الكنيستين الغربية الكاثوليكية، والشرقية الأرثوذكسية اللتـان تقـرّان النظـام الرهباني وتسعيان لتطويره ونشره.

١٦-إننا نجد أحياناً خرقاً عند البروتستانت في موقف بعضهم من الرهبانية، فقـد وُجـد بـين الفينة والأخرى بعض الجماعات البروتستانتية الرهبانية الدعوية في مناطق من أوروبـا وأمريكا، وبعض أنحاء العالم الأخرى.

١٧-إنَّ نظام الرهبانية المسيحية مرَّ بمراحل تطويرية متعددة، جميعها يهدف لتحقيـق هـدف معين، هو التعبد والتقشف والتنسك وترك الدنيا وملذاتها وتجويع الجسد وتطهير الروح.

١٨-إنَّ أول مراحل الرهبانية عُرف بمرحلة: البدايات؛ وهي ظهـور الاختلائيـين، وثانيهـا: مرحلة تجمع الاختلائيين، وثالثها: مرحلة الشراكة، بظهور الأديرة، ورابعهـا: مرحلـة ظهور الناشطين، وخامسها: مرحلة الانتشار شرقاً وغرباً.

١٩-إنَّ الناظر في نظام الرهبنة في الكنيسة الغربية الكاثوليكية، يجد أنـه امتـاز بخـصائص متعددة تفوّق بها على الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية القبطيـة المؤسـسة، أولهـا: تنـوع نشاطها، ثانيها: جذب أبناء الطبقات الأرستقراطية الغنية، ثالثها: قوة الترابط بين الرهبان وبين المؤسسات الكنسية ورجالاتها.

٢٠-إنَّ للرهبانية أنماطاً ثلاثة؛ هي: التوحد والانفراد، والشراكة، والفردية المترابطة.

٢١-إنَّ لبدعة الرهبانية أسباباً عدة متنوعة أدت بمجموعها لظهـور وتنميـة الرهبانيـة فـي المسيحية؛ منها ما ينطلق من نصوص وكتب النصارى أنفسهم، سـواء أكانـت الداعيـة للزهد والعبادة، أو النصوص التي يظهر فيها الغلو والتحريف والتبديل، ومخالفة الفطـر السليمة السوية، ومنها بسبب عوامل وأسباب أخرى كانت محيطة بالمسيحيين ولها الأثـر الكبير في نشأتها؛ وهي: اضطهاد اليهود والرومان للمسيح ﷺ وأتباعه، وعقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة، وردة الفعل غير المنضبطة على مادية اليهـود والرومـان، وقـسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية إبان ظهور الرهبانية، والتأثر بالحضارات والفلـسفات والوثنيات القديمة؛ كأديان الهند الكبرى؛ الهندوسية والبوذية والجينية، وديانات الصينيين، والمصريين القدماء، والرومان، والمانوية، والأفلاطونية، وغيرها.

٢٢-إنَّ لبولس " شاوول اليهودي " دوراً كبيراً في ظهور الرهبانية في الديانة المسيحية، وذلك من خلال تحريفاته لنصوص الأناجيل وما تضمنته رسائله الأربعة عـشر مـن الـدعوة

للتبتل والتنسك بصورة تخالف ما تحتاج إليه الفطر السوية، وهو الذي أدخل تحريفات كثيرة على الديانة النصرانية، غيّرت من مسارها بالكلية، حتى أصبحت بوليسية بعد أنْ كانت عيسوية.

٢٣-إنَّ للأمبراطور قسطنطين أثراً كبيراً في انتشار المسيحية وطقوسها، وذلك بعد مرسوم ميلان الشهير الذي أصدره سنة (٣١٣م) الذي ينص على حرية الأديان والتسامح مع بقية الشعوب، ولا سيما المسيحيين، وكذا بعد دخوله النصرانية، وجعلها الدين الرسمي لدولته، وعقده لمجمع نيقية الشهير سنة (٣٢٥م)، الذي تضمن العديد من القررات التي كان لها الأثر الكبير في العقيدة المسيحية وتاريخها.

٢٤-إنَّ لنُظُم الرهبانية في الحضارات والديانات التي تبنتها مبادئاً وأسساً تنطلق منها، متشابهة ومتفقة في الجوهر، ومختلفة في الأساليب أحياناً، تدور حول قضية مركزية واحدة؛ هي: إعادة صياغة جديدة للنفس الإنسانية بأي وسيلة من وسائل الزهد والتقشف؛ لتغدو تلك النفس متنسكة متعبدة طائعة سامية.

٢٥-إنَّ لنظام الرهبانية في المسيحية أسساً ومبادئاً ينطلق منها، يجب على كل من انخرط فيه أنْ يلتزم بها ويطبقها بحذافيرها؛ أولها: التبتل والعزوبة؛ أي: عدم الزواج، وتجريم من فعله من الرهبان والراهبات، وثانيها: الوحدة والانعزال والانزواء عن الناس وحياتهم، وثالثها: التجرد الكامل عن الدنيا والزهد فيها وفي مباحاتها وملذاتها، ورابعها: تعذيب الأبدان وقهرها وإيلامها للسمو بها ورفعتها، وخامسها: الطاعة التامة للرؤساء من الآباء والرهبان، والامتثال الإرادي الطوعي لهم ولأوامرهم، والعبادة المتواصلة غير المنقطعة.

٢٦-إنَّ الرهبانية نظام مبتدع، ليس فيه من هدي السماء شيء، لا تحتمله طبائع البشر، ولا تصبر عليه، ولو صبر عليه البعض لن يصبر عليه الجماهير، هو نظام من مبادئه تحريم الزواج على من انخرط فيه، ويقوم على الوحدة والانزواء عن الناس، وعلى الزهد والتقشف وتجويع النفس، والبعد عن ملذات ومباحات الدنيا وزينتها، وعلى تعذيب الجسد وقهره، وإلحاق الضرر به، وعلى الطاعة العمياء للرؤساء والباباوات، وعلى العبادة المتواصلة دون انقطاع، وعلى الغلو والتطرف.

٢٧-إنَّ أسس نظام الرهبانية ولَّدت آثاراً ونتائج وخيمة على الرهبان والأفراد والمجتمعات المسيحية وأوساطها، ولعل من أهمها: ظهور الفواحش والشذوذ والآثام بين الرهبان أنفسهم والمجتمعات المسيحية، والتفكك الأسري في المجتمع وما خلفه من آثار وويلات، ومحاربة التقدم والعمران والإصلاح والبناء، وفشو الجهل وزوال العلم، وفقدان الثقة في الدين ورموزه ورجالاته، والبعد عن القيم والأخلاق والمثل، وترك العبادات والطاعات، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرّمه، وتأليه الأحبار والرهبان، وعبادتهم من دون الله.

ثانياً: التوصيات :

أوصي في نهاية هذه الخاتمة بوصايا عدة، أهمها:

١- التمسك بشرع الله تعالى، وهدي رسله عليهم أفضل الصلاة والسلام.

٢- تجنب الابتداع في دين الله، والإحداث فيه.

٣- البعد عن الأسباب المؤدية للابتداع والانحراف عن شرائع الله، وهدي رسله.

٤- البعد عن الغلو والتطرف بجميع أنواعه.

٥- عدم تكليف النفس ما لا طاقة لها به.

٦-نشر الوسطية والاعتدال في الدين، وبيان أنها منهاج الأنبياء والمرسلين.

٧-تركيز العلماء والدعاة في أطروحاتهم على بيان أسباب انحرافات الأمم السابقة كي يتجنب أبناء المسلمين الوقوع فيها.

٨-حث الباحثين على الكتابة في دقائق مسائل علم مقارنة الأديان، التي لها أثر في دعوة غير المسلمين لاعتناق ديانة الإسلام الحقة، وبيان الحال التي وصلت لها ديانات المخالفين بعد التحريف والتبديل.

٩-حث الباحثين على الكتابة في أسباب ظهور الرهبانية التي ذكرتها في بحثي هذا، وأثرها في انحراف النصرانية، ويكون ذلك بتناول كل سبب في بحث مستقل.

١٠-حث الباحثين على الكتابة في مبادئ الرهبانية وأسسها، في أبحاث مستقلة، وذلك بتناول كل واحد منها على حدة، وبيان أثره على المسيحية ومجتمعاتها.

أخيراً: وفي نهاية هذه الخاتمة أسأل الله سبحانه وتعالى أنْ أكون قد وفقت لبلوغ الهدف المنشود، وأنْ تحقق هذه الدراسة أهدافها، وأنْ ينفع بها جميع من وقف عليها من المسلمين وغيرهم، مع علمي علم اليقين بأنَّ عمل البشر لا يخلو من تقصير وزلل، كما أسأله سبحانه أنْ يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأنْ يجعلها في موازين حسناتي، وصحائف أعمالي، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من سار على نهجه، واتبع سنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين.

قائمة المراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ه.
٣- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، أحمد بن إدريس القرافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٤- أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ه.
٥- أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠م.
٦- الأسفار المقدسة قبل الإسلام، صابر طعيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ه.
٧- أطلس الأديان، سامي بن عبد الله المغلوث، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ه.
٨- أضواء على المسيحية، متولي يوسف شلبي، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
٩- إظهار الحق، رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٠- الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود، القاهرة.
١١- انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، أحمد زكي، مكتبة الشقري، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
١٢- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٢٠ه.
١٣- بدعة الرهبنة، الشماس حنين عبد المسيح، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
١٤- البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، المعلم ميخائيل مشاقة، طباعة بيروت، نسخة قديمة طبعت سنة ١٨٦٣م.
١٥- بين الإسلام والمسيحية (مقامع هامات الصلبان، وروائع روضات الإيمان)، أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق: محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
١٦- تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، دار الثقافة المسيحية، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
١٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٨- تحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ (أسبابه ونتائجه)، بسمة بنت أحمد جستنيه، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٩- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، أبو محمد عبد الله الميورقي الترجمان، تحقيق: عمر الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٠- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق: محمود قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢١- تفسير ابن جزي، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ه.
٢٢- التفسير التطبيقي للكتاب المقدَّس، نخبة من علماء وأساتذة اللاهوت المسيحيين، تعريب وجمع ومونتاج شركة ماستر ميديا، القاهرة.
٢٣- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ه.
٢٤- تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه.
٢٥- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة: ٢٠٠١م.
٢٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر، وعبد العزيز بن إبراهيم العسكر، وحمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٢٧- حتمية الفداء، القمص: زكريا بطرس، نشر موقع زكريا بطرس: www.fatherzakaria.com.
٢٨- دائرة معارف البستاني، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة ١٩٧٧م.
٢٩- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٠- دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي، حكيم أمين، مطبعة رمسيس، الجيزة، طبعة ١٩٦٣م.
٣١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين أحمد بن يوسف الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ه.

٣٢- دعوة التوحيد في المسيحية قبل الإسلام، وأثرها في تأسيس الفرق المسيحية، عرفة سالم سيف الدين، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، ١٩٩٢م.
٣٣- الديارات، الشابوشتي، تحقيق: كوركيس عواد، www.al-mostafa.com.
٣٤- الرهبنة القبطية الأم لرهبانية العالم، الأنبا مارتيروس، مكتبة مارجرجس، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٣٥- السنن، ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٣٦- السنن، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٧- السنن، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
٣٨- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤١٤ه.
٣٩- السنن، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٠- صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
٤١- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ه.
٤٢- الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٤٣- الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٤- الصراع بين الكنيسة والعلم (أسبابه وآثاره)، أحمد بن عبد الله الغامدي، مجلة الدراسات العقدية، الجمعية السعودية لعلوم العقيدة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ٤، السنة الثانية، رجب ١٤٣١ه.
٤٥- العبادة المسيحية، الارشمندريت إلياس، مكتبة السائح، طرابلس، طبعة: ١٩٨٥م.
٤٦- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد الطاهر التنير البيروتي، تحقيق: محمد الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، طبعة ١٩٨٨م.
٤٧- علم اللاهوت بحسب معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، القمص ميخائيل مينا، المكتبة القبطية، القاهرة.

٤٨- فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات، مصطفى فوزي عبد اللطيف غـزال، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٢ه.

٤٩- قاموس الكتاب المقدَّس، القس: بطرس عبد الملك، والقس: جون الكساندر طمس، وإبراهيم مطر وغيرهم، دار الثقافة المسيحية، ومطبعة سيوبرس، القاهرة، الطبعة العاشرة.

٥٠- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، دار الحديث، القاهرة.

٥١- قصة الحضارة، ول ديو رانت، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت.

٥٢- قانون الرهبنة الجديد، إصدار المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية برئاسة البابا تواضروس الثاني ،القرار رقم (٢٠) بتاريخ: ٢٠١٣/٦/٢٠م ، نشر جريدة الوطن المصرية، وتاريخ: ٢٠١٣/٩/١٧م.

٥٣- الكتاب المقدَّس بعهديه: القديم (٣٩ سفراً)، والجديد (٢٧ سفراً)، دار الكتاب المقدَّس في الشرق الأوسط، طبعة: ١٩٩٥م.

٥٤- الكفارة في المفهوم المسيحي، يوسف رياض، مطبعة كنيسة الأخوة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٥٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.

٥٦- مجموعة الشرع الكنسي (قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة)، الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب، توطئة: البطريرك إلياس الرابع، مطبعة النور، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٥٧- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: أحمد بن علي، وحمدي صبح، دار الحديث، القاهرة، طبعة ١٤٢٤ه.

٥٨- محاضرات في التاريخ الكنسي المجامع الكنسية، الأنبا يوأنس أسقف الغربية، مطابع الأنبا رويس الأوفست العباسية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٥٩- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.

٦٠- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيدة النحوي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: ٢٠٠م.

٦١- المخصص، علي بن إسماعيل بن سيدة النحوي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧١ه.

٦٢- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي، تحقيق: حسين سليم، دار المأمون، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٦٣- المسند، أحمد بن حنبل، فهرسة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥ه.

٦٤- المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت.

٦٥- المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٩٨م.

٦٦- مسيحيون أم بولسيون؟ محمد نادر عفيفي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٦٧- مصادر النصرانية دراسة ونقداً، عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ه.

٦٨- معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧م.

٦٩- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ه.

٧٠- المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم، سهيل زكار، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه.

٧١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، طبعة: ١٣٩٤هـ.

٧٢- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه.

٧٣- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودى، الدار الشامية، بيروت، طبعة: ١٤١٢ه.

٧٤- من اليهودية إلى الصهيونية، أسعد السحمراني، مكتبة ديوان العرب، فلسطين، طبعة ١٩٩٩م.

٧٥- مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند أهل الكتاب (عرض ومناقشة)، سامي بن علي القليطي، مجلة الدراسات العقدية، الجمعية السعودية لعلوم العقيدة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ٧، السنة الرابعة، محرم ١٤٣٣ه.

٧٦- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٧٧- موسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، دار الثقافة، مصر.

٧٨- موسوعة الأنبا غريغوريوس (الرهبنة القبطية وأشهر رجالاتها)، الأسقف العام المتنيح الأنبا غريغوريوس، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، دير الأنبا رويس بالعباسية، وشركة الطباعة المصرية، القاهرة، طبعة ٢٠٠٣م.

٧٩- الموسوعة العربية العالمية، المكتبة الشاملة.
٨٠- موسوعة المفاهيم الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المصرية، مصطلح الرهبانية.
٨١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤ه.
٨٢- الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، محمد عزت الطهطاوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣ه.
٨٣- النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، عرفان عبد الحميد فتاح، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٨٤- النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، الأب لويس شيخو اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
٨٥- النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير مجد الدِّين أبو السعادات، تحقيق: طاهر الزاوي، وحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
٨٦- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٩٧٣م.
٨٧- اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة ١٢، ١٩٩٧م.
٨٨- موقع الأنبا كاراس السائح: http://www.avakaras.org/showthread.php?t=٥٧٣١.